الشرح والتعليق

حائية ابن أبي داود

شرح وتعليق

عيسى العازمي

- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد, وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

إن العلوم تتنوع وتتفاضل ، والعلم يشرف بالمعلوم، ومن أشرف العلوم العلم بالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وبصفاته وأسمائه ، فهو أشرف العلوم على الإطلاق، ولذلك زبدة الرسالة هو العلم بالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وبأسمائه وصفاته.

والعلم بالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ينقسم إلى قسمين:

الأول: علم بكنه ذاته، يعني كيف هو وكيف ذاته, فهذا غير مطلوب وهو محجوب عن الخلق, فهو غير مطلوب، ليس مطلوب من الإنسان أن يعلم كيف ذات الله عَزَّ وَجَلَّ أو كيف صفاته, كيف سمع الله، كيف نزول الله عَزَّ وَجَلَّ إلى السماء الدنيا، فهذا غير مطلوب من العبد.

ولذلك سيأتي أن المؤلف يقول وقل ينزل بلا كيف,يعني لا تُكيِّف, فهذا غير مطلوب من العبد, وغير مقدور عليه من العبد، لأن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أجل وأعظم وأكبر من أن تدركه العقول؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾[طه: ١١٠].

فالخلق مهما وصلوا اليه من العلم فلن يدركوا كيف ذات الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، لا في الدنيا ولا في الآخرة, حتى في الآخرة لن يدركوا كيف ذات الله عَزَّ وَجَلَّ وكيف صفاته, وإن رأوا الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

الثاني من العلوم: العلم بمعاني صفات الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وأسمائه, فهذا مطلوب وهو من أشرف العلوم على الإطلاق, هذا هو المطلوب من العبد، وهو مقدور عليه, وهو يُعلَم بمعرفة ذلك.

فمثلًا: من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ أنه يسمع، فتعرف معنى السمع، هذا مطلوب، والسمع هو إدراك المسموعات، وتبحث في هذا في هذه المعاني، ولكن لا تتوسع لأن الذي نعلمه من معاني صفات الله عَزَّ وَجَلَّ شيء قليل.

وعلى هذا ما يمكن أن نحيط بمعاني صفات الله عَزَّ وَجَلَّ حتى لو كنا نعلم, فنحن نعلم أن الله عَزَّ وَجَلَّ يسمع ولكن ما نحيط بمعنى سمع الله, لأنه سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ يسمع كل شيء في آن واحد، ولا تختلط عليه الأصوات، ويسمع ما في السماوات وما في الأرض وما في الجبال وما في البحار وما في البراري وما في العوالم ، وهذا سمع عظيم لا يمكن أن يدركه الإنسان ويحيط به, وإنما يعرف معنى السمع, يعني أصل المعنى, وعلى هذا باقي الصفات.

فنحن نعلم المعنى ولكن نعلم شيء من المعنى ولا نحيط بالمعنى؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾.

وهذه الرسالة يذكر فها الناظم اعتقاد أهل السنة والجماعة في العقيدة.

والمؤلف رَحِمَهُ اللهُ ، هو أبو بكر بن أبي داود, ابن صاحب السنن, ولد سنة (٢٣٠) وتوفي سنة (٣١٦) للهجرة, فبقي (٨٦) سنة، وقد أثنى عليه العلماء، ويُعرف عقيدة المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بهذه الرسالة, فتعرف أن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ على عقيدة أهل السنة والجماعة, وأنه ناصح لك أيها السني, وقيل أنه لما توفي رَحِمَهُ اللهُ صلى عليه أكثر من (ثلاثمائة ألف) نسمة من الناس, وكان مجتهد رَحِمَهُ اللهُ في طلب العلم، وقد قدمه بعض العلماء على أبيه صاحب السنن في الحفظ.

والمؤلف رَحِمَهُ اللهُ ألف هذه الرسالة في اعتقاد أهل السنة والجماعة، ومن نعمة الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ على العبد أن يوفق لالتزام السنة، فهذا من نعمة الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ على العبد, فإذا رُزق الإنسان التمسك بالسنة فقد أُوتي خيرًا عظيمًا.

وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«ستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة»، لابد أن يقع هذا الشيء,«كلها في النار إلا واحدة», قيل من يا رسول الله؟ قال:«من كان علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

وهذا الحديث جاء من رواية معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأبي هريرة وعمرو بن العاص وغيرهم من الصحابة.

ولذلك يقول شيخ الإسلام: إن هذا الحديث مشهور, وهذا الحديث ثابت .

والواقع يدل على ذلك، الأمة حصل فيها افتراق، تجد جهمي ومعتزلي ورافضي وخارجي وغير ذلك مما خرج من الفرق، فإذا هداك الله عَزَّ وَجَلَّ بالتمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة فقد أوتيت خيرًا كثيرًا, وعليك أن تحافظ على هذا الفضل العظيم بشكر الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى على هذه النعمة, وأن تحذر مما سيُحذر منه المؤلف من البدع ونحو ذلك، فإذا هُديت إلى السنة فعليك أن تحافظ عليها لأن النعمة قد تزول، قد تزول بسبب عدم الشكر أو عدم الدعاء، ما يتوجه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بأن يثبته على السنة وعلى العقيدة الصحيحة, وقد تزول بسبب المعاصي، وقد تزول بسبب الشبهات، وما أكثرها في هذا الزمان, ما أكثر الشبهات، وما أقربها من الناس.

فالإنسان الكبير والصغير والمرأة والرجل قد يقع في الشبهات وهو لا يدري, والناس يتساهلون في قتحام هذه الشبهات، وهذا من الخطأ، من الخطأ أن الإنسان يتساهل بمتابعة الشبهات، مع أنه قليل العلم, وقليل التُّقى, فكيف يَسْلم هذا؟ إلا أن إلا أن يرحمه الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى فينجيه من هذه الشبهات؛ ولذلك على الإنسان أن يتعلم عقيدة أهل السنة والجماعة.

أيضًا من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى على عباده أنه وفَّق كثير من العلماء على أن يجتهدوا في هذا الدين ويؤلفوا الكتب وينظموا المنظومات في العقيدة وفي الفقه وفي الحديث وفي غير ذلك, هذا من نعمة الله عَزَّ وَجَلَّ علينا.

ولذلك الآن العلم سهل؛ بحيث أن الإنسان يجعل له مثلًا متن في العقيدة أو متن في الفقه ثم يدرس هذا العلم فيسهل عليه، ولو كان العلم متناثر لصعب على الإنسان أن يجمعه في مكان واحد.

فالمؤلف رَحِمَهُ اللهُ نصح باتباع السنة والحذر من البدع, ثم ذكر أن القرآن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، ثم ذكر شيء من العقيدة وجمعها في منظومة, منظومة سهلة القراءة لذيذة السماع.

يقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ واتَّبِعِ الهُدَى ... ولاتَكُ بِدعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
ودِنْ بكتابِ اللهِ والسُّنَنِ التي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وتَرْبَحُ



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ.

هذا نصح من المؤلف رَحِمَهُ اللهُ للسني، يقول عليك أيها السني أن تتمسك.

فالتمسك: هو الأخذ بالشيء.

بِحَبْلِ اللهِ، وحبل الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى هنا القرآن, يعني تمسك بالقرآن أيها السني، فعليك أن تتمسك بالقرآن.

واتَّبِعِ الهُدَى.

واتبع يعني سر, الاتباع: هو تتبع الشيء والسير على أثر الشيء, يعني اتبع الهدى يعني السنة، لأنه قابلها بالقرآن.

فقال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ: يعني تمسك أيها السني بالقرآن, واتبع الهدى: يعني اتبع السنة.

فمعنى كلام المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يقول: سِر أيها السني على الكتاب والسنة، متجهًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وقد أمر الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى بالتمسك بهذا الشيء العظيم.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[آل عمران: ١٠٣].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[الحشر: ٧].

قال: تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ واتَّبِعِ الهُدَى.

الهدى يطلق على معان:

منها: الدلالة والإرشاد, يعني إطلاقات الهدى كثيرة، منها الدلالة والإرشاد.

فيقال: فلان هدى فلان؛ يعني دله على الطريق؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نبيه: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[الشورى: ٥٢]؛ يعني تدل الناس إلى طريق مستقيم.

ومن إطلاقات الهدى: التوفيق والإلهام لفعل الخير وإلقاء محبة الخير في القلب.

وهذا النوع خاص بالله عَزَّ وَجَلَّ، لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ بحيث أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يهدي العبد ويجعل في قلبه حب الخير وبغض الشر، وهذا فضل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا أُوتيت هذا فاشكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأنه تفضل من الله عليك، وإذا مُنعت هذا فليس لك حق في فيه، بمعنى أنه ليس واجب على الله عَزَّ وَجَلَّ أن يؤتيك هذا الشيء لأنه فضل، وفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يؤتيه من يشاء.

وعلى هذا الذي يُهدَى فضل من الله، والذي يُمنع الهداية عدل من الله، فالهداية فضل من الله, إذا تفضل الله عَزَّ وَجَلَّ على العبد بالهداية فهذا فضل منه سبحانه, فليس للخلق أن يطلبوا ما ليس لهم, بمعنى أن يعتقد أن له حق في هذه الهداية.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾[الحجرات: ٧-٨]؛ فهو فضل من الله عَزَّ وَجَلَّ.

فإذا هدى الله عَزَّ وَجَلَّ العبد بحيث جعله يحب الطاعة ويكره المعصية ويفعل الخير وينتهي عن الشر فهذا فضل من الله, وإذا مُنع العبد هذا الشيء فهو عدل من الله.

الثالث من معاني الهدى: الهداية التفصيلية, وهذه التي ينبغي للعبد أن يطلبها من الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى؛ بحيث أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يهديه ويفتح عليه في أنواع الهدايات, بمعنى أن يكون العبد مهتدي في كل جانب من جوانب الطاعة.

فمثلًا: يُهدى إلى الصلاة, فيكون من أول الناس يدخل المساجد, ويكون من قوام الليل, وأيضًا يكون ممن يُفتح عليه في الصيام فيكثر من الصيام, ويُفتح عليه في قراءة القرآن فيكون من أكثر الناس قراءة للقرآن، ويُفتح عليه في الذكر فيكون كثير الذكر، ويُفتح عليه في العلم فيكون من أكثر الناس أخذًا للعلم، ويُفتح عليه في الدعوة فيكون من أعظم الناس دعوة، ويُفتح عليه في بر الوالدين، ويُفتح عليه في الصدقة، ويُفتح عليه في الصدق, وهكذا، هذا يسمى هداية تفصيلية.

ولذلك يقول ابن رجب: أن الهداية تنقسم إلى قسمين: هداية عامة وهداية تفصيلية، هداية عامة بحيث أن الإنسان يدخل الإسلام, فهذا هُدي, لأنه إذا أُنجي من الكفر فقد هُدي إلى شيء عظيم.

فالإسلام هداية, فإذا دخل الإنسان الإسلام فهذه هداية عظيمة, ولكن الهداية تتفاضل، فيُهدى الإنسان في تفاصيل هذا الدين, فيكون مهتدي في كل جانب من جوانب الدين.

وعلى هذا الإنسان لا يمل من طلب الهداية من الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, لأنهم ما من مهتدي إلا وفيه أهدى منه, وما من هداية إلا وفيه أعظم منها وأفضل.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى:﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا ﴾, فهم على هدى, ﴿ زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾[محمد: ١٧].

فالهداية تتفاضل,فيزيد الإنسان في الهداية إلى ما شاء الله عَزَّ وَجَلَّ فيسأل الله عَزَّ وَجَلَّ دائما الهداية.

أيضًا مما معاني الهداية في الكتاب والسنة: الدلالة إلى طريق الجنة، فهذه هداية.

ولذلك جاء في الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«إن العبد المؤمن أعرف بمنزله في الجنة منه في الدنيا»؛ يعني يذهب إلى منزله وبيته يعرف مكانه، هذه هداية دلالة, ويعرف أن هذا له وهذا ماله وهذا نعيمه, يعرف أن هذا النعيم له.

أيضًا من أنواع الهداية: الهداية إلى النار، فالكفار يُهدَوْن إلى النار.

ولذلك جاء في الحديث:"أنهم يحشرون إلى النار فيعرفون الطريق إلى النار"؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾[الصافات: ٢٣]؛ يعني دلوهم على الطريق، فهم يعرفون الطريق يذهبون إليه.

كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: "ما بالك بقوم وقفوا في الموقف خمسين ألف سنة ثم ذهبوا إلى النار وتساقطوا فيها, وقد أصابهم الظمأ والعطش", فيعرفون طريق النار حتى يصلون إليها فيتساقطون فيها.

وجاء في الحديث الصحيح أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول:«لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ فِي الدُّنيا»، فيتبع من كان يعبد عزير ويُمثَّل له شيطان, لأن عزير في الجنة، وكذلك عيسى عَلَيْهِ السَّلَامَ يُمثَّل له شيطان فيتبعه، ويتبع من كان يعبد الشمس الشمس, حتى تصل بهم إلى النار.

قال:واتَّبِعِ الهُدَى ...ولاتَكُ.

ولا تكُ: هذا نهي من الناظم رَحِمَهُ اللهُ ينهاك أيها السني, يقول: لا تكن احذر، كن على حذر.

ولا تَكُ بِدعِيًّا: يعني لا تبتدع ولا تكن من الذين ابتدعوا في دين الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وفي شرعه.

لَعَلَّكَ تُفْلِحُ: يعني لعلك تُفلح تنجح وتفوز بالمطلوب وتنجو من المرهوب, يعني رجاءً أن يحصل لك هذا الشيء.

ومن تمسك بالكتاب والسنة فهو على نجاح لا شك, ولكن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يقول لعلك تنجُو لأن الإنسان لا يجزم بشيء لنفسه، ولكن الإنسان إذا تمسك بالكتاب والسنة

نجا, إما بداية وإما مآلًا, بمعنى أنه إذا كان على الكتاب والسنة وكان على صلاح فإنه ينجو مع من ينجو أولًا, وإن كان عنده تقصير وذنوب ومعاصي وكان متمسك بالكتاب والسنة فإن مآله إلى النجاة، فهو ناجي في كلا الحالتين.

قال: ولا تَكُ بِدعِيًّا: يعني احذر أن تكون مبتدع.

والبدعة في اللغة هي الاختراع وإنشاء الشيء على غير مثال سابق.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[البقرة: ١١٧]؛ يعني خلقهما على غير مثال سابق.

وأما في الشرع: فهي كل قول أو عمل أو اعتقاد يتعبد به الإنسان لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ولم يشرعه الله، وليس له أصل في الشرع.

فيشمل القول؛ كمن يبتدع قول ويتعبد لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى به, كقول (هو هو) عند الصوفية، هذا قول يتعبدون لله عَزَّ وَجَلَّ به.

واعتقاد؛ كاعتقاد مثلًا الرافضة أن أبا بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كفار مثلًا، هذا اعتقاد يعتقد في نفسه الرافضي.

أو عمل؛ كفعل الخوارج يقتلون المسلمين, يرون أنهم على حق وأنهم على حسنات، هذا فعل.

وكمن يتعبد لله عَزَّ وَجَلَّ بجوارحه بما لم يشرعه الله عَزَّ وَجَلَّ.

فيقول المؤلف احذر أن تكون مبتدع بقولك وبقلبك وبجوارحك، احذر من البدع.

والبدعة لها مفاسد عظيمة:

فمن مفاسد البدعة: أنها تنقص لشرع الله، فمن يبتدع ببدعته يتنقص شرع الله, قال هذا بلسانه أو كان هذا بحال فعله,فهو متنقص لشرع الله.

وجه ذلك: أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣], فمن يبتدع يعتقد أن الدين ما كمل، يريد أن يكمل هذا الدين, ولو لم يقله بلسانه وإنما يقوله بحاله وفعله, فهو متنقص لشرع الله.

ومن مفاسد البدع: أنها تنقص لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك قال ابن القيم: أن الشرك تنقص لله، والبدعة تنقص لرسول الله.

فالبدعة تنقص لرسول الله, قال هذا المبتدع بلسانه أو لم يقل ذلك، فبحاله يقول هذا, يفعل هذا بحاله، فهو متنقص لرسول الله.

وجه ذلك: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغ شرع الله عَزَّ وَجَلَّ ولم يترك شيئًا إلا بلغه.

كما قال أبو ذر رَضِي اللهُ عَنْهُ:"لقد مات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما من طائر في السماء إلا وذكر لنا منه علم".

وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم:«تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا».

فمن ابتدع كأنه يقول يا رسول الله ما بلغت كل الشرع, أو يقول يا رسول الله إنك تجهل بهذا الشرع، وأنا أعلم منك بهذا الشرع، هذا فعل المبتدع وهذا حاله.

المبتدع كأنه يقول يا رسول الله إنك ما بلغت هذا الشرع نسيت أو غير ذلك، أو امتنعت من تبليغه, أو كأنه يقول يا رسول الله إنك تجهل بهذا الشرع وأنا أعلم منك بهذا الشرع.

فمثلًا الذين يبتدعون الاحتفال بالمولد النبوي، هل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم بهذا أو لا يعلم؟ إن قالوا يعلم قلنا لما لم يبلغ؟ أكتم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ إن قالوا ما علم نقول أجهل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلمتم أنتم؟ اذًا البدعة تنقص لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "أن الشرك تنقص لله".

ولذلك تجد أن في القرآن إذا ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ الشرك قال:﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقد ذكر مثل هذا الكلام عبد الرحمن بن حسن قال: إن الشرك تنقص لله.

ووجه ذلك: أن المشرك كأنه يقول يا رب لست وحدك الكامل، بل يوجد مثلك يستحق العبادة، ويوجد غيرك يستحق أن يتعبد له.

هذه المعاني هي فعل، المشرك أو المبتدع هذا حال فعله هذا حاله وإن لم يقل هذا بلسانه ولكن هذا من حاله.

وأيضًا المبتدع كأنه يقول يا رسول الله إنك ما بلغت.

ولذلك صرح بعض الرافضة بهذا الشيء، بعض الرافضة صرح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بلغ, قال أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أوصى لعلي ، أو ما بلغ أن الوصية لعلي من بعده، ليت رسول الله بلغ حتى ننتهي من هذه, يعني لا ندخل في هذه الإشكالات.

فمن أهل البدع من صرح، ومنهم من صرح بفعله.

وأيضًا كأنه يقول يا رسول الله إنك تجهل بهذا الشرع، وأنا أعلم بدين الله منك, والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:«إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً».

أيضًا من مفاسد البدع: أنها سبب لتفرق الأمة واقتتالها فيما بينها، ووصف بعضها لبعض بالقصور أو التقصير.

من أسباب التفرق البدع, أعظم ما يكون سبب للتفرق هو البدع؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾؛ يعني كانوا حِزَب,﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم: ٣٢]؛ يعني كل جماعة تفرح بما عندها من العلم وتصف الأخرى بالقصور أو التقصير.

ولذلك أهل البدع يبتدعون ثم يُكفرون من خالفهم, بل إن بعض المبتدعة بدعتهم واحدة كفَّر بعضهم بعضًا, يعني في بدعة واحدة كفَّر بعضهم بعضًا.

فمن أسباب تفرق الأمة وأعظم تفرق الأمة البدع.

فمثلًا الآن لا يمكن أن تجتمع مع رافضي، رافضي ما يمكن أن تجتمع معه, ولا يمكن أن تنام عنده في الليل، يمكن أن يقتلك, لأنه يرى أنك حلال الدم, وكذلك غيره من أهل

البدع، كالخوارج مثلًا هل يمكن أن تنام عند خارجي؟ ما يمكن، تخاف أن يقتلك، لأنه يراك أنك كافر مرتد وأنك أشد كفرًا من اليهود والنصارى, وأن قتلك ألزم عليه من قتل الكافر الحربي, يعني قتلك أيها السني عنده ألزم عليه من قتل الكافر الحربي, فكيف تأمن هذا الشخص؟ فهي من أسباب ماذا؟ تفرق الأمة.

ومن مفاسد البدعة: أنها سبب لتضييع السنة.

ولذلك يقول شيخ الإسلام كما في "اقتضاء الصراط":"أنه ما ابتدع قوم بدعة إلا وتركوا سنة".

ولذلك إذا ابتدع أناس بدعة تركوا السنة ولابد, لأن البدعة تشغله عن السنة، ولا يمكن أن تجتمع بدعة وسنة, السنة والبدعة ما تجتمع, إذا بقيت هذه نفرت هذه، كما أن التوحيد لا يبقى مع الشرك، فإذا أتى الشرك خرج التوحيد، وإذا أتى التوحيد أخرج الشرك.

كذلك السنة، إذا أتت السنة أخرجت البدعة, وإذا أتت البدعة أضرت بالسنة, وقد تُخرج السنة من قلب الإنسان.

ومن مفاسد البدع أيضًا: أنها تَقدُّم بين يدي الله ورسوله, فالمبتدع يتقدم في شرع الله, فيشرع الشرائع في شرع الله, والله عَزَّ وَجَلَّ نهى أن يتقدم بين يديه وبين يدي رسوله.

ومن مفاسد البدع أيضًا: أنها سبب لأن يموت الإنسان عليها ولا يتوب.

ولذلك جاء في الحديث عند الطبراني أن المبتدع لا توبة له، قال العلماء: لأنه يرى أنه على حق، فكيف يتوب من الحق؟ ما يتوب من الحق.

فالبدع لها مفاسد عظيمة.

والبدع نوعان: بدعة حقيقية, وبدعة زائدة.

الأول: بدعة حقيقية, كأن يبتدع شيء ليس من شرع الله عَزَّ وَجَلَّ, كالمولد النبوي، هذا ما كان في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا في عهد أصحابه ولا في عهد التابعين.

الثاني: بدعة زائدة، وهو أن يزيد في شرع الله, يعني أصل العمل في شرع الله ولكن يزيد فيه.

كما مثلًا من جعل دخول البيت سبب لصلاة ركعتين، كل ما دخل البيت صلى، كل ما دخل البيت صلى, الصلاة مشروعة ولكنه جعلها في موضع، زاد في شرع الله.

وأيضًا من جعل مثلًا صلاة الفجر أربع ركعات,يعني العمل مشروع ولكنه زاد فيه، هذه تسمى بدعة زائدة.

وهذه وهذه مذمومة.

قال:ولا تَكُ بِدعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ: يعني رجاء أن تفلح وتنجو من المرهوب.

قال:ودِنْ بكتابِ اللهِ والسُّنَنِ التي.

ودن: يعني اعتقد وتدين وتمسك, واجعل هذا الشيء تدين به وتعمل به.

بكتاب الله: يعني بالقرآن, وهذا من إضافة الصفة للموصوف, فالقرآن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

بكتاب الله والسُّنن.

والسنن جمع سنة، وهو ما أضيف إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعل أو عمل أو صفة خَلقية أو خُلقية.

يقول: تمسك بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والسُّنَنِ التي ...أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وتَرْبَحُ.

أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ: يعني السنن التي أتت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فعله وإقراره وغير ذلك مما أتى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتمسك به.

والسنة قد تكون فعلية, وقد تكون إقرارية, وقد تكون قولية.

فالفعلية مشروعة, يستحب للإنسان أن يعمل بها, الفعلية الأصل فيها أنها مستحبة إذا جردت من الأمر.

الثانية: القولية، القولية هذه قد تكون سنة واجبة، وقد تكون سنة مستحبة.

الثالث: سنة إقرارية, وهذه الأصل فيها الإباحة.

كإقرار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجارية أين الله, قال لها:«أين الله؟». قالت في السماء. هذا إقرار فسكت النبي صلى الله عليه وسلم .

وكإقرار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للرجل الذي كان يقرأ:﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾في الصلاة. فسكت عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, لا يقال إن هذا مستحب، يستحب للإنسان أن يختم بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾, لا، وإنما هو مباح, لو فعله الإنسان يباح له, ولكن لا يقال عنه أنها مستحبة.

وأما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المجرد عن القول فالأصل فيه أنه مستحب.

كما قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

وكـــل فعـــل للنبـــي جُـــردا عـــن أمـــره فغـيـر واجـب بـدا

مثلًا: فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالسواك مثلًا, إذا أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصلي تسوك, هذا يدل على المشروعية والاستحباب.

يقول:والسُّنَنِ التي ...أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وتَرْبَحُ.

تنجُ من كل مخوف, والمؤلف رَحِمَهُ اللهُ أطلق ما قال تنجو من النار أو تنجو من عذاب القبر أو تنجو من المصائب في الدنيا.

قال:تنجُ, فالمتمسك بالكتاب والسنة والذي يدين الله عَزَّ وَجَلَّ بالكتاب والسنة ينجو من كل مخوف في الدنيا والآخرة, فيطمئن في الدنيا ويطمئن في الآخرة.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[الأنعام: ٨٢]؛ يعني: لهم الأمن في الدنيا والآخرة, فمن تمسك بالكتاب والسنة أمِن في الدنيا والآخرة ونجا.

قال:وتربحُ، الربح: هو الزيادة على رأس المال, يعني تفوز فوق ذلك بالربح, فمع النجاة تربح وتفوز بالجنان وتفوز برؤية الرحمن ورضا الرحمن أيضًا, فتربحُ.

يقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

وقُـلْ غـيرَ مخلـوقٍ كـلامُ مَليكِنَـا	بـذلك دانَ الأتقِيَـاءُ وأَفْصَـحُوا
ولا تَـكُ في القـرآنِ بـالوقْفِ قـائلًا	كما قـالَ أتبـاعٌ لجهـمٍ وأسْـجَحُوا
ولا تقـلِ القُـرآنُ خَلـقٌ قَرَأتُـه	فـإنَّ كـلامَ اللهِ بـاللَّفْظِ يُوضَـحُ



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: وقل: يعني أيها السني قل هذا القول بلسانك معتقدًا بقلبك, فاجهر به في المجامع وفي الخلوات واعتقد هذا بقلبك.

وقُلْ غيرَ مخلوقٍ كلامُ مَلِيكِنَا: يعني قُل أن القرآن غير مخلوق.

وقوله:قل: يعني أيها السني,غير مخلوق: يعني أن هذا الشيء غير مخلوق.

كلام مليكنا: المليك المراد به الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, لأن من صفاته أنه الملك سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، المالك الذي له المُلك, وإضافة الكلام لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى من إضافة الصفة للموصوف.

وقُلْ غيرَ مخلوقٍ كلامُ مَلِيكِنَا: يعني قل غير مخلوق القرآن الكريم الذي هو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

بذلك دانَ الأتقِيَاءُ وأَفْصَحُوا: بهذا القول وهذا الشيء دان, يعني اعتقد وعمل.

الأتقياء: جمع تقي وهو البر الذي يفعل الخيرات وينتهي عن المنكرات.

وأفصحوا: يعني أفصحوا بهذا الشيء ووضحوا وقالوا بألسنتهم ولم يخشوا إلا الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وقول المؤلف:قل غير مخلوق؛هذا فيه رد على الذين قالوا إن القرآن مخلوق, ففيه رد عليهم.

فيقول لك أيها السني قل أن القرآن غير مخلوق, والقرآن هو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وقوله:غير مخلوق؛ إنما قيل هذا اضطرارً , وإن كان الإنسان إذا قيل له القرآن كلام الله في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتقد أنه كلام الله,وأن الله تكلم به,وإنما أتى القول بأن القرآن غير مخلوق بعد ذلك, لأنه خرج من ابتدع وقال أن القرآن مخلوق, فاضطُّر أهل السنة والجماعة إلى أن يقولوا القرآن غير مخلوق اضطرارًا.

ولذلك السني إذا قلت له القرآن كلام الله فَهِم بنفسه أن أنه كلامه، وأنه وصف له تعالى, وإنما ترد بهذا على مثل من يقول إن القرآن مخلوق, فتقول: بل إن القرآن كلام الله غير مخلوق.

والقرآن كلام الله, وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

فأما الأدلة من القرآن على أن القرآن كلام الله فكثيرة ولا تحصى.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ﴾[التوبة: ٦].

قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ﴾, أحد:نكرة؛ فيدخل فيها أي أحد من المشركين.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾؛ يعني طلب جوارك, يعني طلب أن تؤمنه, فقال مثلًا يا محمد أمِّني,﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ﴾؛ (حتى) الظاهر أنها للغايةأو للتعليل.

﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾, فأمر الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى نبيه أن يؤمِّن هذا المشرك حتى يسمع كلام الله، وكلام الله هنا ماذا؟ القرآن.

وجاء في السنن من حديث جابر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعرض نفسه على القبائل أيام الحج ويقول:«مَنْ رَجُلٌ يُؤْوِينِي حَتَّىٰ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي». كلام ربي يعني يُبلغ ماذا؟ القرآن.

والأدلة على هذا كثيرة.

قال:وقُلْ غيرَ مخلوقٍ كلامُ مَليكِنَا: يعني قل هذا القول إن اضطررت لذلك, فلو أنه أتاك جهمي وقال إن هذا القرآن مخلوق فقل له أنت أيها السني بل إنه كلام الله وليس بمخلوق.

والسلف رَحِمَهُم اللهُ اضطروا لهذه الكلمة, يعني أن يقولوا أن القرآن غير مخلوق ليردوا على من قال إن القرآن مخلوق.

والناس افترقوا في كلام الله القرآن على أصناف كثيرة:

فالأول: أهل السنة والجماعة. فقد وُفقوا إلى الحق وَوَافقوا الحق, فقالوا إن القرآن كلام الله المنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, من الله بدأ وإليه يعود, وأنه بحرف, وأنه يُسمع , وأنه يتعبد بتلاوته, وأنه محفوظ, واعتقدوا هذا الشيء وهذا هو الحق.

ومن الناس من قال:أن القرآن مخلوق خلقه الله, كما خلق الكعبة, وكما خلق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وكما خلق غيره من المخلوقات,وإنما يضاف إلى الله إضافة تشريف, وهؤلاء هم الجهمية, قالوا والقرآن مخلوق.

ورد عليهم السلف وصاحوا بهم, بل وكفروهم.

كما قال ابن القيم: ولقد تقلد كفرهم عشر في خمسين من العلماء في البلدان.

يقول:أن (٥٠٠) عالم كفَّرهم قال أنهم كفار.

لأن من قال إن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى مخلوق, لأن القرآن من صفات الله, فمن زعم أن صفة من صفات الله مخلوقة فقد زعم أن الله مخلوق.

ولذلك لما قال لأحد السلف كأنه استشكل كيف يُكفر الذي يقول إن القرآن مخلوق؟ قال لأنه يزعم أن الله مخلوق.

فالكلام يضاف إلى من تحدث به, فإذا كان المتحدث به خالق فوصفه غير مخلوق، وإذا كان المتحدث به مخلوق فوصفه مخلوق.

ومن الناس من قال أن القرآن نوعان: معاني وألفاظ.

فالمعاني من صفات الله, والألفاظ ليست من صفات الله , وهؤلاء هم الأشاعرة والكُلابية. قالوا إن القرآن يضاف إلى الله إضافة معنى قائم بذات الله عَزَّ وَجَلَّ, وأما هذا

الذي نقرأه وهو القرآن هو عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلام الله, الأشاعرة قالوا عبارة عن كلام الله, والكلابية قالوا حكاية عن كلام الله.

فنهاية الأمر عندهم أن هذا القرآن ليس كلام الله, وإنما هو خلق من خلق الله, وإنما لم يصرحوا, قالوا عبارة أو حكاية.

ولذلك قال أحد الحذاق من الأشاعرة قال:

إننا والجهمية ليس بيننا فرق,هم يقولون مخلوق ونحن نقول مخلوق, ولكننا نُلبس على الناس.

أيضًا من الناس من قال أن القرآن قديم, قديم قائم بذات الله إلى ما لا نهاية, كما أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أزلي ليس قبله شيء كذلك القرآن أزلي ليس قبله شيء, وأنه وهؤلاء هم الاقترانية الذين يقولون إن الكلام قديم.

ومن الناس من قال أن القرآن فيض فاض على النفوس الزكية, يعني النفوس التي تزكت حتى أصبحت أنبياء, فعندهم أن الإنسان قد يصبح نبي وذلك بمجاهدة نفسه وكثرة الطاعة حتى يصبح نبي, ثم يفيض عليه هذا الكلام فيصبح بعد ذلك نبي, وهؤلاء هم الفلاسفة. قالوا إن أن القرآن هو فيض فاض من العقول الفعالة -يعنون بها الملائكة- إلى النفوس الزكية يعني الأنبياء, فهو ليس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ عندهم.

ومن الناس من قال أن جميع ما في الأرض كلام الله, القرآن وغير القرآن وجميع ما تسمع من كلام حسن وكلام سيء وكلام بشر وكلام حيوان وكلام إنس وكلام جن وكلام باطل وكلام حق هو كله كلام الله, فنسبوا جميع الكلام لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى -تعالى الله عَزَّ وَجَلَّ عن قولهم علوًا كبيرًا-.

ولذلك قال بعضهم:

وكــل كـــلام في الوجـــود كلامـــه   ســـواء علينـــا نثـــره ونظامـــه

وهؤلاء هم أهل وحدة الوجود؛ كابن عربي الطائي, هم يعتقدون أن جميع الكلام كلام الله,ككلام الكلاب وكلام الديكة, كل الكلام كلام الله –أعوذ بالله– كلام خطير, هذا بسبب البدعة الذين نهى المؤلف عن أن يقع الإنسان فيها.

كلام يتحاشى الإنسان أن يقول به ولكن يضطر حتى الناس تحذر من ذلك.

ولذلك يقول ابن العربي:

الــــرَّبُّ حَـــقٌّ وَالْعَبْـــدُ حَـــقٌّ يَالَيْـــتَ شِـــعْرِي مَـــنْ الْمُكَلَّـــفُ؟

إنْ قُلْـــــت عَبْـــــدٌ فَـــــذَاكَ رَبٌّ أَوْقُلْـــــــت رَبٌّ أَنَّ يُكَلَّـــــــفُ؟

يقول: إن الرب هو العبد والعبد هو الرب, وأن المكلف هو المكلف.

لذلك قال بعضهم إنما في هذه الجُبة الله.

وقال بعضهم:أن ما تراه بعينك فهو الله, فكل شيء أمامك هو الله, هذا يسمى وحدة الوجود.

ولو قال إني أرى أشخاص أمامي قالوا هذه أشياء يتجلى الله عَزَّ وَجَلَّ فيها.

هذا كلام خطير بسبب البدعة.

ولذلك المؤلف حذر من البدع وأمر بأن تنسب القرآن إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

قال:وقُلْ غيرَ مخلوقٍ كلامُ مَليكِنَا.

تقدم أن الصحابة رَضِي اللهُ عَنْهُم كانوا يقولون إن القرآن كلام الله ولا يقولون غير مخلوق, ولكنه وجد في بعض آثار الصحابة من قال أن القرآن غير مخلوق.

ولذلك جاء عن ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُ أنه سمع رجل يقول: لا ورب القرآن. قال:"ويحك إن القرآن ليس بمخلوق". وفرح الإمام أحمد بهذا الأثر من الصحابي ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُ.

وجاء عن علي رَضِي اللهُ عَنْهُ أنه لما ناظر الخوارج رفع كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ قال:"إني حَكَّمت ما ليس بمخلوق", يعني كلام الله.

وهذا والله أعلم أنه من توفيق الله عَزَّ وَجَلَّ للناس, إذا عرفوا أن الصحابة اعتقدوا أن القرآن غير مخلوق فهو إجماع من الصحابة.

وبعد ذلك العلماء تتابعوا على أن القرآن غير مخلوق, لما رأوا من الجهمية أنهم صرحوا بأن القرآن مخلوق, بل إنه وقع فتنة عظيمة في القول بخلق القرآن, حتى أنها قتلت فيها النفوس الكثيرة وفُتن فيها الناس عن دينهم, فصبر الإمام أحمد وغيره من العلماء حتى أنجاهم الله عَزَّ وَجَلَّ من هذه الفتنة, واستمرت وقت طويل, حتى أن الإنسان لو خرج على المنبر وقال إن القرآن كلام الله لقُتل بسبب هذا الاعتقاد.

وقد كان السلف رَحِمَهُ اللهُ يصرحون بأن القرآن غير مخلوق.

قال:وقُلْ غيرَ مخلوقٍ كلامُ مَليكِنَا: مالكنا وهو الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

بذلك دان الأتقياء.

بذلك: يعني بهذا الشيء اعتقدوا هذا الشيء.

دان: يعني اعتقد.

الأتقياء: جمع تقي, والتقي: هو من جعل بينه وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

قال:وأفصحوا: يعني صرحوا, وصرحوا بهذا الشيء.

قال:ولا تَكُ في القرآنِ بالوقْفِ قائلًا:يعني احذر أيها السني أن تتوقف في القرآن كما توقف الواقفة.

والواقفة: فرقة شكاك تأثروا بالجهمية ولم يقولوا بقولهم, وإن كانوا عندهم شك من قولهم.

فالواقفة هم الذين توقفوا في القرآن, قالوا لا نقول مخلوق ولا نقول ليس بمخلوق, نقول كلام الله ونسكت.

وسبب ذلك: أنهم تأثروا ببدعة الجهمية, فشكوا في قلوبهم لعله يكون كلامه حق فتوقفوا.

وهؤلاء يقول بعض العلماء أنهم شر من الجهمية, لأنهم يشككون الناس, كأنهم يقولون للناس إن الجهمية عندهم شيء من الحق فاحذروا, لا تخالفوهم.

فالواقفة فرقة توقفت في القرآن.

فالواجب على العبد أن يرفض قول الواقفة, فليقل: إن القرآن كلام الله غير مخلوق, ويعتقد هذا في نفسه ويقوله بلسانه ويصرح.

ولا تَكُ في القرآنِ بالوقْفِ قائلًا: يعني احذر أن تتوقف في القرآن, بل إذا ناظرت جهمي وقال لك إن القرآن مخلوق فقل إن القرآن كلام الله أيها الجهمي, ولا تقل أتوقف حتى أنظر الأدلة, لعل هذا الجهمي يكون على حق فيكون مخلوق.

قال:كما قالَ أتباعٌ لجهمٍ.

(كما): للتشبيه.

قال:أتباعٌ لجهمٍ: يعني من تأثر بجهم.

وأسْجَحُوا :يعني لانت بها نفوسهم واعتقدوا ذلك.

يقول: احذر أن تكون من هؤلاء الواقفة الذين تأثروا بشبهة جهم-يعني الجهمية-.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: ولا تقلِ القُرآنُ خَلقٌ قَرَأتُه: يعني لا تقل أيها السني احذر من هذا المقام, وهذا يدل على شفقة المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أنه يشفق عليك أيها السني, احذر من كذا واحذر من كذا واحذر من كذا.

قال:ولا تقلِ القُرآنُ خَلقٌ قَرَأتُه: يعني لا تقُل أن لفظي بالقرآن مخلوق, كما قال اللفظية.

اللفظية: فرقة تأثروا بالجهمية, يقولون أن لفظي بالقرآن مخلوق, أو هم أيضًا بعض الجهمية يقول هذا الشيء, يقول لفظي بالقرآن مخلوق, فيريد أن يتوصل أن القرآن مخلوق.

فهو يقول لا تقل هذا الشيء, بل قل القرآن كلام الله.

ولذلك كان السلف يقولون: القول قول الباري والصوت صوت القاري. حتى يكون الإنسان على بينة.

قال: ولا تقلِ القُرآنُ خَلقٌ قَرَأتُه: يعني لا تقل أن لفظي بالقرآن مخلوق, لأن هذا يحتمل واحد من أمرين:

يحتمل الملفوظ وهو كلام الله.

ويحتمل اللفظ وهو فعل القارئ المخلوق, وهذا مخلوق لا شك.

إذًا: هذا يحتمل واحد من أمرين:

الأمر الأول الملفوظ وهو كلام الله, وهذا غير مخلوق.

ويحتمل اللفظ, حركة اللسان والشفتين وصوت القارئ, فهذا كله مخلوق.

هذه اللفظة تحتمل هذا وتحتمل هذا.

ولذلك هم لما أتوا بهذا القول يريدون التلبيس, فالسني على فطرته يقول نعم لفظي بالقرآن مخلوق. ويريد ماذا؟ يريد حركة لسانه, ويريد حركة شفتيه, وهذا الجهمي يريد الملفوظ, يريد كلام الله.

فقال: احذر أيها السني لا تقل هذا ولا يُلبس عليك الجهمي.

فالذي يضاف إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى هو الملفوظ المقروء. هذا كلام الله.

والثاني: اللفظ,وهو الذي يضاف إلى فعل العبد, فهذا مخلوق.

فالملفوظ كلام الله, واللفظ فعل القارئ.

يعني بصورة أخرى: هناك قارئ وهناك مقروء, القارئ مخلوق وفعله مخلوق وحركة شفتيه مخلوقة ولسانه مخلوق, وهناك مقروء,وهو كلام الله,فهذا ليس بمخلوق, لأنه كلام الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, وهذا الإنسان بلغ كلام الله عَزَّ وَجَلَّ بصوته وأسمع الناس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ بصوته.

فكلام الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى القرآن, يعني القرآن يُقرأ ويُسمع من القارئ ويتحرك به الشفتين ويخرج له حروف, ولكن هذه الحروف هي منسوبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, لأنه هو الذي تكلم به, وهذا المقروء هو منسوب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى لأنه هو الذي تكلم به, فالكلام ينسب إلى من قاله مُبتدئًا لا من قاله مُبلغًا.

فمثلًا: لو أن أحد من الناس قال لنا قصيدة فأتيت أنا وألقيت عليكم القصيدة, هل في ذهنك تعتقد أنه قولي أو قول هذا الشخص الذي قال هذه القصيدة؟ الجواب تعتقد أنه قوله .

فالكلام يضاف إلى من قاله مُبتدئًا لا من قاله مُبلغًا.

ولذلك قال الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[الحاقة: ٤٠]؛ يعني القرآن, ما قال قول نبي, قال قول رسول, والرسول هو الذي يأتي برسالة, فهذا الرسول يبلغ هذا الكلام.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؛ يعني يبلغ هذا الكلام عن ربه.

فالناظم رَحِمَهُ اللهُ يقول لك:

ولا تقلِ القُرآنُ خَلقٌ قَرَأْتُه ...فإنَّ كلامَ اللهِ باللَّفْظِ يُوضَحُ

يعني يوضحه الإنسان بلفظه, والمقروء كلام الله, فالذي يُنسب إلى الله هو الكلام ابتداءً, فالقرآن كلام الله, والقارئ هو المُسمِع لكلام الله.

فإذا قرأ مثلًا زيد الفاتحة, فالذي يُنسب إلى زيد القراءة؛ كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ:«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ»؛ فيُنسب إلى هذا العبد القراءة.

والصوت صوت العبد المخلوق؛ كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ: « زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ».

والذي يُنسب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى هذا الكلام الذي هو القرآن, فهو كلام الله؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؛يعني هذا القرآن قول مبلغ لكلام الله.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ:«فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»؛ يعني القرآن, فهو كلام الله, فهو ينسب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ابتداءً.

كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في الواسطية: "منه بدأ".

وقال أحد الصحابة: "إنك لن تتقرب إلى الله بأحب مما خرج منه"؛ يعني القرآن.

فابتداء القرآن من الله لأنه تكلم به سُبْحَانَهُ وَتعَالَى حقيقة.

وهذا القرآن حروف ومعاني وأصوات ويكتب بالمداد ويكتب في الصحف ويُحفظ في الصدور, فالذي يُكتب في الصحف هو كلام الله, وهذا المداد الذي يُكتب به مخلوق الحبر مخلوق, ولكن المكتوب كلام الله.

وأيضًا هذه الصحف مخلوقة, الورق والصحيفة مخلوقة, ولكن المكتوب فيها كلام الله, وهذا القلب قلب الإنسان مخلوق, والمحفوظ فيه كلام الله.

فالقرآن أيَّن ما توجه فهو كلام الله, سواء حُفظ في القلوب, أو نُطق به بالألسنة, أو سُمع في الأذان فهو كلام الله.

قال الناظم:

وقُـلْ يـتجلَّى اللهُ للخَلْـق جهـرةً ... كـما البـدرُ لا يَخفى وربُّـك أوضـحُ

ولـيس بمولـودٍ ولـيس بوالـدٍ ... ولـيس لـه شِـبْهٌ تعـالى المسـبَّحُ

وقـد يُنكـرُ الجهمِـيُّ هـذا وعنـدَنَا ... بمِصْدَاقِ مـا قُلْنَـا حَـديثٌ مُصَرِّحُ

رواه جريـرٌ عـن مَقَـالِ محمـدٍ ... فقلْ مثل ما قد قَال في ذاكَ تَنْجَحُ

وقـد يُنكـر الجهمـيُّ أيضًـا يمينَـه ... وكلتـا يديـه بالفواضـلِ تـنفَحُ



قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

وقُـلْ يـتجلَّى اللهُ للخَلْـق جهـرةً ... كـما البـدرِ لا يَخفى وربُّـك أوضـحُ

ذكر الناظم هنا مسألة التجلي تجلي الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى لخلقه.

قال: وقل: يعني أيها السني, قل هذا بلسانك معتقدًا بقلبك.

يتجلَّى الله: يتجلى يعني يظهر ويبين, لأن التجلي هو الظهور والإبانة.

يتجلى الله للخَلق: الخلق هنا يعني الناس, والخلق يطلق ويراد به الناس ويطلق ويراد به جميع الخلق.

والدليل على هذا: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الخوارج: «هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ», الخلق هنا: الناس, والخليقة: يعني البهائم ونحو ذلك؛ كما قال شراح الحديث.

الثاني: جميع الخلق؛ كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر: ٦٢].

وغير ذلك مما يدخل فيه.

قال: وقلْ يتجلَّى اللهُ للخلق جهرةً: يعني عيانًا,فالجهرة هنا يعني عيانًا.

كما البدرُ لا يَخفى وربُّك أوضحُ.

(كما), الكاف هنا كاف التشبيه, والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية, لا المرئي بالمرئي, لأن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ليس كمثله شيء, المراد تشبيه الرؤية بالرؤية, كما أنك ترى القمر رؤية واضحة.

قال: البدرُ.

البدر: هو القمر ليلة الرابعة عشر, يكون ممتلئ.

قال: كما البدرُ لا يَخفى: يعني أن البدر لا يخفى ليلة الرابعة عشر.

وربُّك أوضحُ: يعني أنه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أوضح وأبين ويُرى لأنه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أعظم من كل شيء, فإذا كان هذا المخلوق الذي هو القمر يُرى رؤية واضحة فكيف بالذي خلق القمر, وهذا القمر ليس بشيء عنده سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, فهو أوضح سُبْحَانَهُ وَتعَالَى فيرى.

وذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في هذا البيت مسألة الرؤية, ومسألة الرؤية مما يُثبتها أهل السنة والجماعة للنصوص الكثيرة التي دلت على ذلك من الكتاب والسنة, وسيأتي إن شاء الله في قول الناظم: رواه جرير.

قال:

ولـــيس بمولـــودٍ ولـــيس بوالـــدٍ ولـــيس لـــه شِـــبْهٌ تعـــالى المســـبَّحُ

ذكر الناظم رَحِمَهُ اللهُ هذا البيت بعد الرؤية ليبين أن رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ليست كرؤية المخلوق للمخلوق, فإن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يُرى ولكن على الكيفية التي يعلمها الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, ليست كرؤية المخلوق للمخلوق.

ولذلك كما تقدم أن كاف التشبيه في رؤية البدر تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي.

قال: وليس بمولودٍ: يعني أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ليس بمولود.

والمولود: هو المتفرع عن غيره المتفرع عن غيره.

وليس بمولودٍ: يعني متفرع عن غيره, كالإنسان مثلًا له أب متفرع منه, فهذا يُنفى عن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وليس بوالدٍ: يعني أنه لم يتفرع عنه غيره, كما يقول النصارى أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى له ابن -تعالى الله عما يقولون-.

وردَّ الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى عليهم قال: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾[مريم: ٩٠], بسبب هذه المقالة الشنيعة.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[البقرة: ١١٦].

وقد جاء عند الترمذي أن المشركين قالوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انسب لنا ربك, فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١-٤].

وليس بمولودٍ وليس بوالدٍ ...وليس له شِبْهٌ.

يعني: أنه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ليس له شبيه, والشبيه: يعني النظير والمثيل, فالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى لا شبيه له, فهو سُبْحَانَهُ وَتعَالَى لا شبيه له, لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله, ليس له شبيه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١]. (شيء): نكرة في سياق النفي فتفيد العموم, يعني ليس مثله شيء أبدًا.

وقال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: ٦٥]؛ يعني: نظير ومماثل, فهو ليس له مثيل سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وهذا ثابت شرعًا وعقلًا, يعني بالشرع ورد الأدلة أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى لا مثيل له, وثابت عقلًا.

ووجه ثبوته بالعقل: أن الخالق لا يمكن أن يكون مثل المخلوق, يعني الذي أنشأ الشيء لا يمكن أن يكون مثله, لا يمكن, فالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى خلق الإنسان أو خلق المخلوق فكيف يكون هذا المخلوق مثل الخالق؟! ما يمكن.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾[النحل: ١٧], فهو سُبْحَانَهُ وَتعَالَى لا مثيل له.

تعالى المسبَّحُ: يعني المنزه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى عن كل نقص, والله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يسبَّح وينزه عن ثلاثة أمور:

- الأول: عن النقص مطلقًا.
- الثاني: عن النقص في صفات الكمال.
- الثالث: عن مشابهة المخلوقين.

والله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ليس كمثله شيء, لا شبيه له.

قال:

وقـد يُنكـرُ الجهمِـيُّ هـذا وعنـدَنَا بِمِصْـدَاقِ مـا قُلْنَـا حَـديثٌ مُصَرِّـحُ

وقد,قد: هنا للتحقيق, يعني يقع هذا.

يُنكرُ الجهمِيُّ.الجهمي: نسبة إلى الجهم بن صفوان الترمذي الذي أنكر الصفات, فكل من أنكر الصفات ففيه شبه من جهم فيُنسب إليه.

ينكر, إنكار تعطيل,يُنكرُ الجهميُّ هذا: يعني يُنكر الرؤية, فالمتأثر بمقالة الجهم يُنكر الرؤية؛ وذلك أن الجهم أنكر الرؤية.

وعندنا: يعني بإثبات الرؤية.

بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَديثٌ مُصَرِّحُ: يعني حديث واضح, يعني حديث ورد في أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى سيُرى وهو واضح لا يحتاج إلى تفسير.

والجهمية ينكرون الرؤية ومن تأثر بهم, كالخوارج وبعض الفرق ينكرون الرؤية.

وعلة الجهم في ذلك قال: لأن الذي يُرى يكون جسم أو يكون متحيز, يعني في مكان يحوزه, ولذا نفى الرؤية.

والناس في رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى على أقسام ثلاثة:

الأول: أهل السنة والجماعة, فإنهم أثبتوا رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى من فوقهم على الكيفية التي يعلمها الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

الثاني: من أنكر الرؤية كالجهم ومن تأثر بمقالته, من الخوارج والمعتزلة والجهمية ونحوهم.

الثالث: الأشاعرة, الأشاعرة أثبتوا الرؤية ولكن إلى غير جهة, قالوا يُرى ولكن لا إلى جهة, فالأشاعرة برزخ بين أهل السنة والجهمية, فهم لم ينفوا الرؤية لكثرة النصوص, لما رأوا النصوص وكثرتها ما أنكروا, ولم يثبتوا إثبات أهل السنة لئلا يقولوا أنه متحيز في جهة, فهم ينفون الجهة,وبعضهم قال أنه يُرى ولكن ليس بالعين المجردة ولكن يرى رؤية قلب أو نحو ذلك, والحق مع أهل السنة والجماعة.

قال:

رواه جريـــرٌ عـــن مَقَـــالِ محمـــدٍ فقلْ مثل ما قد قَال في ذاكَ تَنْجَحُ

رواه: يعني الحديث الذي فيه التصريح برؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

رواه جرير: ابن عبد الله البجلي الصحابي.

قال: عن مقال محمد: يعني يرويه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن مَقَالِ محمدٍ ...فقلْ: أيها السني,مثل ما قد: يعني نحو هذا القول.

مثل ما قد قَال في ذاكَ تَنْجَحُ: يعني مثل ما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يُرى.

تَنْجَحُ: يعني تفلح وتفوز بالمطلوب وتنجو من المرهوب.

والحديث -الذي يعني الناظم- هو ما جاء في الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: نظر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا».

ورؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى من المسائل التي اشتد فيها النزاع بين أهل السنة وأهل البدع.

لذلك الجهم أنكر الرؤية وهو من المتقدمين, أنكر رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

والأدلة على رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى كثيرة من الكتاب والسنة:

منها: قوله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢-٢٣].

قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾؛ يعني ذلك اليوم يوم الدين, ﴿نَاضِرَةٌ﴾؛ يعني بهية حسنة.

﴿إِلَى رَبِّهَا﴾؛ يعني: خالقها, ﴿نَاظِرَةٌ﴾؛ يعني تنظر بأعينها بالأعين, فهم ينظرون إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى رؤية حقيقية حق بالعين التي في الوجه, لأنه أضاف الرؤية للوجه, قال: ﴿وُجُوهٌ﴾, ثم قال: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾, فالعين في الوجه؛ فدل على أن هذه العين هي التي ترى وجه الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وعدَّ أيضًا الرؤية بـ(إلى) التي تفيد رؤية العين؛ وذلك أن النظر إذا عُدِّيـ(إلى) فالمراد نظر العين؛ كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

أما إذا عُدِّي بنفسه فالمراد الانتظار؛ كما قال سبحانه: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾[الحديد: ١٣]؛ يعني: انتظرونا.

وإذا عُدِّي بـ(في) فالمراد التفكر, التفكر في الشيء؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الأعراف: ١٨٥]؛ يعني يتفكروا في عظمة السماوات والأرض.

فالنظر إذا عُدي بـ(إلى) فالمراد نظر العين.

ومن الأدلة أيضًا قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦], والزيادة هنا هو النظر إلى وجه الله الكريم, كما جاء ذلك في صحيح مسلم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فيُفهم منه النظرالى الله تعالى قال عليه الصلاة والسلام: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ». ثم تلا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦].

فمفهوم ذلك: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن الزيادة هي رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وقد جاء عن أبي بكر وحذيفة وغيرهم من الصحابة أنهم فسروا الزيادة برؤية الله؛ كما ذكر ذلك البغوي وغيره من علماء, التفسير صريح بأن المراد بالزيادة هي رؤية الله, فالجنة حسنى, والزيادة رؤية الله؛ وذلك أن رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أحسن من الجنة وأعظم, فهي زيادة على الجنة.

وقد جاء في الحديث أنهم إذا رأوا الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى نسوا جميع النعيم الذي هم فيه, نسوه بسبب شده الشوق إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ولذة النظر إلى وجهه الكريم.

وأيضًا من الأدلة: قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾؛ يعني الكفار, ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥].

هذه الآية في الكفار, يقول: أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يحجبهم عن رؤيته.

وهذه الآية لها منطوق ولها مفهوم:

منطوق الآية: أن الكفار لا يرون الله, هذا منطوق الآية.

ومفهوم الآية: أن غير الكفار يرون الله.

ومن هم غير الكفار؟ هم المؤمنون.

ولذلك استدل السلف بهذه الآية على رؤية الله, كالإمام مالك والشافعي وأحمد أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يُرى بهذه الآية.

قال الشافعي: فإن الله لما حجب أولئك في الغضب دل على أن المؤمنين يرونه في الرضا؛ إذ لو كان الكل محجوب لما كان فيه فائدة بتخصيص الكفار بهذا الحجب, فدل على أن غير الكفار يرون الله وهم المؤمنون.

والأدلة من السنة كثيرة, بل إنها وصلت حد التواتر؛ ولذلك الأشاعرة لما رأوا أنها متواترة ما قدروا أن ينكروا, فقالوا: يرى, لأن الأشاعرة لا ينكرون المتواتر, أما الآحاد قد ينكرونه, أما المتواتر لا ينكرونه.

ولذلك : في رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أحاديث كثيرة:

منها: حديث جرير بن عبد الله المتقدم.

ومنها: ما جاء في سنن النسائي عن عمار بن ياسر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«وَأَسْأَلُك لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِك الْكَرِيم», فسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه أن يرى وجهه الكريم؛ إذ لو كان لا يُرى سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ما دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الدعاء, وهو الذي حذر من الاعتداء في الدعاء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامِ.

وغيره من الأحاديث, الأحاديث كثيرة بلغت حد التواتر.

ولذلك قال الناظم:

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبْ   وَمَنْ بَنَى لله بَيْتًا وَاحْتَسَبْ
وَرُؤْيَةٌ شَفَاعَةٌ وَالْحَوْضُ   وَمَسْحُ خُفَّيْنِ وَهَذِي بَعْضُ

وَرُؤْيةٌ: هذا محل الشاهد.

فمما تواتر رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وجاء عن الصحابة, جاء عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال:"أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يراه المؤمنون يوم الجمعة".

وجاء عن ابن مسعود بسند صحيح عند الطبراني:"أنه خرج يوم الجمعة ومعه بعض أصحابه, فلما دخل المسجد رأى ثلاثة أمامه -يعني في المسجد- قال لنفسه: رابع أربعة -يعني أنا رابع أربعة- وما رابع أربعة ببعيد, إني سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يقول: «سَارِعُوا إِلَىٰ الْجُمَعِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْرُزُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فِي كَثِيبٍ مِنْ كَافُورٍ أَبْيَضَ، يَكُونُ مِنْهُ فِي الْقِرَبِ عَلَىٰ قَدْرِ إِسْرَاعِهِمْ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ».

وجاء عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "أن المؤمنين يرون الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يوم الجمعة".

وهذا مما أجمع عليه أهل السنة, لأن هذا هو الحق, الحق الذي لا ينبغي للإنسان أن يحيد عنه.

ورؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى على أقسام ثلاثة:

الأول: في الدنيا, أما بالعين في اليقظة, فإن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى لا يُرى في الدنيا.

والعله في ذلك: لضعف المخلوق, لضعفه عن رؤية الله, ولأن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى امتحن الخلق؛ إذ لو كان يُرى سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في الدنيا ما عصاه أحد.

ولذلك قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: الذين يخشون ربهم بالغيب, فهم يخافون الله مع أنهم لم يروه.

فالعلة في عدم رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في الدنيا الأول: الضعف, وهذا دل عليه قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾, لموسى, قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[الأعراف: ١٤٣]؛ يعني: أن الجبل تحطم فأصبح مثل التراب.

جاء عند الترمذي أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ما برز منه إلا مثل رأس الخنصر.

وفي قول بعض المفسرين: برز منه مثل ثقب الإبرة, فتحطم الجبل, فكيف لو تجلى الله عَزَّ وَجَلَّ لهذا المخلوق الضعيف؟!

ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ», يعني النور والبهاء الذي في وجهه الكريم سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أحرق جميع ما انتهى إليه بصره من خلقه, يعني لاحترق كل شيء, لأن بصر الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يصل إلى كل شيء, فيحترق جميع المخلوقات, فكيف يتحمل الإنسان رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في الدنيا؟!

وأيضًا لأن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى امتحن الخلق, فمن حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أنه احتجب عن خلقه لينظر هل يطيع الإنسان مع أنه لم يرى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ويؤمن به أو أنه يكفُر بربه ويعصيه.

ولذلك قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: الذين يخشون ربهم بالغيب, أثنى عليهم الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى لأنهم خافوا الله مع أنهم ما رأوه.

وقد جاء في الحديث الصحيح: يقول الله عَزَّ وَجَلَّ للملائكة: «مَا يَقُولُ عِبَادِي؟», لما يجتمعون في بيت من بيوت الله يتذاكرون ويقرؤون القرآن, قال: «فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا».

الثاني: رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في الدنيا في المنام, فقد يُرى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في المنام ويُمثَّل للإنسان بحسب إيمانه وليس الذي رآه في المنام هو ذات الله, وإنما يُمثَّل له مثال, وهذا ما عليه جمهور العلماء.

وقد جاء عند الترمذي وصححه البخاري والإمام أحمد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ». في المنام.

فقد يرى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في المنام بحسب إيمان الشخص.

القسم الثاني: رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يوم القيامة, فيرى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في عرصات القيامة, يراه المؤمنون والمنافقون على القول الراجح والله أعلم.

كما جاء في صحيح مسلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«فَيَتَجَلَّىٰ لَهُمْ يَضْحَكُ».

وجاء في حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ», فدل على أن المنافقين يرون الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ثم يحتجب عنهم, كما أن المنافق آمن في الدنيا ثم كفر فكذلك يرى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في عرصات القيامة ثم يحتجب عنه إلى الأبد.

القسم الثالث: رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في الجنة, فهذه خاصة بالمؤمنين وليست للكفار ولا المنافقين.

وهي المرادة في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ».

والأدلة على رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في الجنة كثيرة، وهذه خاصة بالمؤمنين لأنها رؤية نعيم، وتنعم, وأما الرؤية التي تكون في عرصات القيامة فهي رؤية تعريف، ليست رؤية نعيم, وإنما هي رؤية تعريف.

كما جاء في الحديث:«فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ», فيسجد له كل مؤمن ويذهب المنافق ليسجد فيكون ظهره كالطبق الواحد فلا يستطيع أن يسجد.

وأما في الجنة فهي رؤية نعيم, وهذه خاصة بالمؤمنين, وهذه الرؤية عامة للذكر والأنثى في الجنة.

وقد قال شيخ الإسلام: أن الذكور والإناث يشتركون في الكلام وفي الرؤية وفي أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يختلي بعبده وكذلك بأمته فيقرره بذنوبه, يشترك فيها الذكر والأنثى.

ورؤية المؤمنين لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في الجنة الثابت أنهم يرون الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى كل جمعة. هذا ثابت.

وقد ذهب بعض العلماء أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يراه بعض المؤمنين في الصباح والمساء, مرة في الصباح ومرة في المساء,وقد جاء في ذلك حديث ولكنه ضعيف, حديث ابن عمر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "ومنهم من يرى الله في غدوة وعشية". ولكن هذا الحديث ضعيف.

وقد أخذ ذلك بعض العلماء من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا».

مفهوم ذلك: أنه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يُرى في الصباح والمساء, لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ», ثم قال: فلا تُغلب على هذه الصلاة, كأن المعنى أنكم سترونه في هذين الوقتين, وهذا خاص لبعض المؤمنين على حسب إيمانه.

وأما النساء؛ فقد قال بعض العلماء أنهن يرين الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في كل عيد, كما أن النساء يجتمعن للأعياد فيرين الله عَزَّ وَجَلَّ في هذا الوقت. والله أعلم.

لكن الثابت أن النساء يرين الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, المؤمنات يرين الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في الجنة كما يراه المؤمنون.

والذين أنكروا رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى اشتبه عليهم الأمر, قالوا: لو أثبتنا الرؤية لأثبتنا أن الله جسم, والأجسام متماثلة, إذًا يُنفى الرؤية.

وبعضهم قال: لو أثبتنا الرؤية لأثبتنا أن الله في جهة, والله ليس في جهة.-على قولهم-.

وبعضهم قال: لو أثبتنا الرؤية لقلنا أن الله متحيز.فنفوا الرؤية.

وقد رد أهل السنة على هذا كله.

أما قولهم جسم فالجسم لم يرد في الكتاب والسنة لا نفيًا ولا إثباتًا, فإن أرادوا بالجسم الأجسام المخلوقة التي تتركب من دماء وأعضاء ولحوم متماسكة إلى بعضها البعض فهذا يُنفى عن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، هذا المعنى ينفى عن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, فالله ليس كذلك.

وإن أرادوا بالجسم الذات التي تقوم بنفسها ويشار إليها وتُرى فالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى بهذا المعنى على هذا الشيء, فالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى له ذات ويُرى , ولكن لفظة الجسم لا تُنفى ولا تُثبت.

أيضًا قولهم أنَّا لو أثبتنا الرؤية لقلنا أن الله في جهة, أيضًا لفظة الجهة لم تأتي في الكتاب والسنة لا نفيًا ولا إثباتًا, والمعنى يُستفصل فيه, إن أرادوا بالجهة جهة مخلوقة تحوز الله عَزَّ وَجَلَّ وتضم الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى كما أن الإنسان يحوزه البيت أو المسجد ويضمه فهذا ليس

إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى,ليس الله عَزَّ وَجَلَّ بهذا المعنى، يعني هذا المعنى منفي عن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وإن أُريد بالجهة جهة علو لا تحيط بالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في جهة بهذا المعنى، فالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في العلو, وفي العلو حين تنتهي المخلوقات إلى العرش, والله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى فوق العرش, وما سوى الله فعدم, لا يقال أن يمين الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى شيء وشمال الله عَزَّ وَجَلَّ شيء -تعالى الله عَزَّ وَجَلَّ عن ذلك- بل إن ما سوى الله فراغ, ليس هناك شيء إلا الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

فالمخلوقات تنتهي إلى العرش, والله فوق العرش, وهو في العلو, ولفظة (الجهة) يُغني عنها قول إن الله في السماء أو في العلو, تُغني عن لفظة الجهة.

ولفظ (الجهة) لا يُثبت ولا يُنفى, لأن من الأدب مع الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ألا تُثبت له إلا ما أثبت لنفسه ولا تنفي عنه إلا ما نفى عن نفسه، وكذلك ما أثبته له رسوله أو نفاه عنه رسوله, هذا من الأدب, فيُغني عن ذلك أن تقول إن الله في العلو أو في السماء, كما جاء ذلك في النصوص.

الثالث: الحيز, قولهم: أن الله متحيز.

والحيز: هو الشيء الذي يكون في مكان مخلوق يحوزه.

كما أن الورقة إذا وضعتها في الظرف أحازها, وكما أن المال إذا وضعته في البوك مثلًا حازه وضمه, فيقولون إن الله ليس بمتحيز.

فإن أريد هذا المعنى فحق, الله عَزَّ وَجَلَّ ليس كذلك, فهو أعظم وأجل من أن يحيط به شيء من مخلوقاته.

ولذلك يقول السلف: نعرف ربنا بأنه عالٍ على خلقه, منفصل عن خلقه, ليس فيه شيء من خلقه ولا هو في شيء من خلقه.

إذا أريد هذا المعنى فهذا المعنى حق أن الله ليس في هذا المعنى, إذا أريد بالتحيز أن شيء يضم الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أو يحوزه فهذا حق، ليس, فيه شيء يحوز الله عَزَّ وَجَلَّ أو يضمه-تعالى الله عَزَّ وَجَلَّ-.

وإن أُريد بالحيز العلو، جهة علو منفصلة عن الخلق لا تحوز الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى بهذا المعنى أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في العلو ولا يحوزه شيء من مخلوقاته, ولكن هذه اللفظة لا تنفى ولا تثبت.

والأشاعرة قالوا: أن الله يُرى ولكن لا إلى جهة, قالوا: لأن لو أثبتنا الجهة لشبهناه بالخلق.

وهذا القول باطل، لأن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في العلو حين تنتهي المخلوقات إلى العرش, فالله فوق العرش وما ثَمَّ إلا الله, وليس هناك غير الله شيء, ما سوى الله عدم, لا يقال أن فوق الله شيء أو عن يمين الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى شيء-تعالى الله عَزَّ وَجَلَّ عن ذلك- لأن ما سوى الله فهو عدم.

المؤلف قال: وليس له شِبْهٌ.

الشبيه: هو النظير والمثيل، والتعبير بنفي التمثيل أولى من التعبير بنفي التشبيه, وإن كان الكل صحيح, وقد ورد عن السلف, بل عن بعض الصحابة أنه نفى التشبيه.

ورد عن السلف نفي التشبيه ونفي التمثيل، ولكن التعبير بنفي التمثيل وخاصة بعد ظهور أهل البدع أولى؛وذلك لوجوه ثلاثة:

الأول: لأن هذا هو الوارد في القرآن؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١]، فنفى التمثيل.

قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾[النحل: ٧٤], فنفى سُبْحَانَهُ وَتعَالَى التمثيل.

الوجه الثاني: أن بعض أهل البدع عندهم إثبات الصفات تشبيه, فإذا قلت من غير تشبيه يعني من غير إثبات صفات, إذا قلت لهؤلاء إن الله ليس له شبيه ظن في نفسه أن الله ليس له صفات,فلأجل أن تسد الباب على هؤلاء فتقول ليس له مثيل.

فعندهم مثلًا إذا قلت أن الله ليس له شبيه, ظن في نفسه أن الله ليس له صفات؛ لأنه يعتقد أن إثبات الصفات تشبيه.

الوجه الثالث: أن ما من شيئين إلا بينهما قدْر مشترك وقدْر فارق, ما من شيء إلا وبينهما قدر مشترك وقدر فارق، فمن نفى القدْر المشترك فقد عطَّل ومن نفى القدر الفارق فقد مثَّل.

فمثلًا: الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى سميع، والمخلوق سميع، وهذا قدْر مشترك, مشترك من حيث اللفظ ومشترك من حيث أصل المعنى, وهذا الاشتراك يكون في الذهن، في العقل، في القلب, أما عند التخصيص ينتفي المماثلة.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهو السميع البصير﴾؛ فأثبت لنفسه البصر والسمع.

وقال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى عن الإنسان:﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[الإنسان: ١-٢]؛ فأثبت للإنسان السمع والبصر.

ولكن هذا في اللفظ وفي أصل المعنى، وأما عند التخصيص فينتفي المماثلة؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى قال:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

ففي الذهن مثلًا إذا قلت سمع في ذهنك هذا يشترك فيها الخالق والمخلوق, وإذا قلت سمع الله هذا اختص بالله فلا مثيل له في سمعه؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى له من هذه الصفة الكمال, وهذه الصفة أزلية, كما أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أزلي كذلك هذه الصفة أزلية قائمة في ذات الله.

وأيضًا أنه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يسمع جميع ما خلق, جميع المخلوقات في آن واحد يسمعها سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ولا تختلط عليه الأصوات, فيسمع من في السماء ومن في الأرض ومن في البحار ومن في البراري والمؤمن والكافر والطيور والحشرات وغير ذلك مما هو يسمع، فالله عَزَّ وَجَلَّ يسمعه في آن واحد ولا تختلط عليها أصوات.

وإذا قلت مثلًا سمع زيد اختص بزيد المخلوق الذي هو وسمعه وُجد بعد أن كان معدوم, فهو سمع يسمع ولكن هذا السمع مخلوق, كما أن ذاته مخلوقة فسمعه مخلوق.

وأيضًا هذا السمع ضعيف، فلو أبعد الشيء الذي له صوت عن الإنسان ما سمعه, ولو أن هذا الإنسان تكلم عنده أصوات كثيرة لاختلطت عليه ولم يفهم هذا من هذا, فكيف يكون هذا مثل الخالق سُبْحَانَهُ وَتعَالَى؟!-تعالى الله عَزَّ وَجَلَّ عن ذلك-.

أيضًا القدْر الفارق، القدْر الفارق هو ما تقدم أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يسمع ولكن ليس كسمع المخلوق.

قال:

وقـد يُنكـر الجهمـيُّ أيضًـا يمينَـه وكلتـا يديـه بالفواضـلِ تـنفَحُ

أيضًا الناظم ذكر صفة اليد وردَّ على الجهمي بداية البيت.

قال:وقد يُنكر.

(قد): هنا للتحقيق, يعني يقع من الجهمي.

يُنكر الجهمي: يعني المنسوب للجهم، المتبع للجهم, الذي أخذ من مقالة الجهم.

وقد يُنكر الجهميُّ أيضًا.

(أيضًا)؛ يعني رجوعًا على ما مضى, يعني يحصل منه هذا الشيء أيضًا.

يمينه: يعني يمين الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, قد يُنكر اليد لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, فالجهمي يُنكر صفة اليد.

وكلتا: يعني كلتا يدي الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

كلتا يديه بالفواضلِ: الفواضل جمع فاضلة وهي العطايا,تنفَحُ: يعني تعطي.

فالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يعطي سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ويتفضل سُبْحَانَهُ وَتعَالَى على خلقه.

قال:وقد يُنكر الجهميُّ أيضًا يمينَه: يعني أن الجهمي يُنكر الصفات الذاتية, لأنه ذكر اليد ويُلحق باليد غيرها من الصفات الذاتية, كالقدم والوجه والعين ونحو ذلك من الصفات الذاتية.

والجهمية ينكرون الأسماء والصفات، وسيأتي إن شاء الله اختلاف الناس في الإثبات.

والجهم بن صفوان الترمذي أنكر الصفات لبعض الشُّبه التي وردت عليه, وقد أخذ مقالته عن واصل بن عطاء,وواصل أخذها عن اليهود, فهذه المقالة ترجع إلى اليهودي الذي سحر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والجهم أنكر الصفات, فتأثر بمقالة واصل ولكنه زاد عليه؛ وذلك أن الجهم كان عنده جهل يعني ليس بعالم,فهو عنده جهل,وناظر مرة أناس ينكرون غير المحسوسات, يعني لا يؤمنون إلا بشيء محسوس.

فيؤمنون مثلًا بهذا الكوب أو هذا الماء, وغير المحسوس ما يؤمنون ، بالغيبيات ما يؤمنون بها, فقالوا للجهم: ربك هذا الذي تعبده، هل يُرى؟ قال: لا. قالوا له: هل يُشَم؟ قال: لا. قالوا هل يُلمَس؟ قال: لا. قالوا: إذًا تعبد عدم.

فاشتبه عليه الأمر -, لو كان عنده علم ما وقع في هذه الشبهة، قد لا يقع في هذه الشبهة, فاشتبه عليه الأمر فبقي في بيته أربعين يومًا لا يصلي, ثم أتاه الشيطان فقال: هل الهواء يلمس؟ قال في نفسه: لا. قال: هل يُرى؟ لا. قال: إذًا الله مثل الهواء في العالم.

فخرج إليهم فقال: هل ترون الهواء؟ قالوا: لا. قال: هل يُرى؟ هل يُلمس؟ هل يُشم؟ قالوا: لا. قال: إذًا الله في كل مكان كما هذا الهواء.

ثم إنه مرة قرأ قوله تعالى:﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[طه: ٥]، قال: لو قدِرت على أن أحُك هذه الكلمة لفعلت.

وجاء عنه أيضًا مرة أنه ركل المصحف بقدمه, قال: ما أظرف محمد لما قال هذا. لأنه يرى أن القرآن ليس كلام الله؛ ولذلك كفَّره بعض العلماء بسبب هذه الأفعال.

ثم هذا الجهم تأثر به كثير من الناس.

ولذلك يقول شيخ الإسلام: أن البدع -يعني التعطيل- يرجع إلى الجهم، ويأخذون منه, فمُقل ومستكثر, أو مقل وآخذ بكثرة.

والناس في الأسماء والصفات على أقسام أربعة:

القسم الأول: أهل السنة والجماعة, فقد أثبتوا الأسماء والصفات من غير تعطيل ولا تحريف ومن غير تمثيل ولاتكييف.

القسم الثاني: من نفى الأسماء والصفات, فيقولون: ليس الله بسميع ولا يسمع, وليس الله برحمان ولا يرحم، وهكذا, وهؤلاء هم غلاة الجهمية.

القسم الثالث: من نفى الصفات دون الأسماء، أثبت الأسماء ونفى الصفات, كالمعتزلة, فقالوا: الله سميع، بصير، رحيم ولكن لا يرحم، ليس له رحمة, ولا يسمع، ليس له سمع, وهكذا.

وشبهتهم في ذلك: قالوا: لو أثبتنا الصفات لأثبتنا تعدد الآلهة أو تعدد القِدم, فهم يجعلون الصفة ذات, فإذا قلت مثلًا الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى من صفاته الرحيم، العزيز، قالوا هذا تعدد ذوات, فيكون الرحمة ذات والعزة ذات, فيكون الآلهة متعددة عندهم, وهذا باطل, لأن الإنسان مثلًا -ولله المثل الأعلى- يكون كريم ورحيم وسميع وبصير مع أنه ذات واحدة.

هل يقال أن مثلًا زيد من الناس إذا قيل أنه سميع وبصير وكريم أن الكرم ذات والبصر ذات وهكذا؟ ما يقال هذا, ولله المثل الأعلى فالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى له ذات ويتصف بهذه الصفات سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, قائمة بذاته العزيزة, فهو ذات واحدة سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وله صفات سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, رحيم وعزيز وكريم وصفاته كثير لا تحصى.

القسم الرابع: الأشاعرة, أثبتوا الأسماء وبعض الصفات, أثبتوا سبع صفات ونفوا الباقي.

وشبهتهم: العقل، قدَّموا العقل, قالوا هذه الصفات نثبتها لأن العقل دل عليها وأما الباقي فننفي, وقد جمع قولهم الناظم في قوله:

حـي علـيم قـدير والكـلام لـه إرادة وكـذا السـمع والبصر

سبع صفات.

والحق مع أهل السنة والجماعة.

قال: وكلتا يديه بالفواضلِ.

واليد بالنسبة لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ثابتة بالكتاب والسنة، وله يدان اثنتان تليقان به سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وهي من صفاته الذاتية, وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة.

والدليل على ذلك من القرآن: قال الله تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥], أضاف الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى اليد له, وهذا من إضافة الصفة للموصوف.

فقال إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾[ص: ٧٦]؛ كما حكى الله عَزَّ وَجَلَّ عنه.

لو كان هنا اليد القدرة كما قالوا لقال إبليس مثلًا أنا أيضًا خلقتني بقدرتك, فلماذا تخصه وتفضله علي؟

إذًا: المراد هنا اليد الحقيقية المضافة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى إضافة صفة إلى موصوف.

وقال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الملك: ١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤].

إلى غير ذلك من الأدلة.

وثبت في السنة أحاديث كثيرة فيها إثبات صفة اليد, بل إنه أكثر من مئة دليل, كما قال ابن القيم.

ومنها ما جاء في الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ».

وجاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ».

وجاء في حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«يَدُ اللهِ مَلْأَىٰ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السماوات وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ».

وجاء في الصحيحين من حديث أبي موسى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

وغيره من الأحاديث الكثيرة.

فاليد ثابتة بالنسبة لله عَزَّ وَجَلَّ, ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أضافها لنفسه، فهي لائقة به سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, ليست كأيدي المخلوقين, وهي من الصفات الذاتية الخبرية التي مبناها على الخبر, والله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى كريم، يعطي العطايا الكثيرة.

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

وقُـل ينـزِلُ الجبَّـارُ في كـلِّ ليلـةٍ ... بـلا كيـفَ جـلَّ الواحـدُ المتمـدِّحُ
إلى طَبَـقِ الـدنيا يَمُـنُّ بفضـلِه ... فتُفـرجُ أبـوابُ السـماءِ وتُفْـتَحُ
يقـول: ألا مسـتغفرٌ يلـقَ غـافرًا ... ومُسـتمنِحٌ خـيرًا ورزقًـا فيُمـنَحُ



قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

وقُـل ينـزِلُ الجبَّـارُ في كـلِّ ليلـةٍ ... بـلا كيـفَ جـلَّ الواحـدُ المتمـدِّحُ

أثبت المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في هذا البيت نزول الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر.

قال: وقُل: أيها السني بلسانك معتقدا بقلبك.

وقُل ينزِلُ الجبَّارُ.

الجبار: من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ينزل.

والجبار: الذي جبر الكسير, وجبر العظيم, فهو جبر الكسير الضعيف وجبر العظيم.

فالأول الكسير فالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى جبره، جبر خاطره ويسر أمره وكفى ضعفه.

والثاني العظيم جبره؛ أي أنه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أذله وكسره وقهره.

فالجبر بمعنى جبر الشيء, يعني كجبر الكسير.

وأيضًا جبر الشيء يعني إلزام الشيء, فالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى جبر الضعيف؛ يعني جبر ضعفه, وجبر العظيم؛ يعني أذله وقهره, فالجميع مجبورون لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أذلاء له سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

قال:في كلِّ ليلةٍ: يعني من ليالي السنة.

في كلِّ ليلةٍ بلا كيف: يعني من غير تكييف منك, لا أن له كيفية, فالله عَزَّ وَجَلَّ ينزل بكيفية ولكن الكيف يعلمه الله ولا نعلمه نحن.

فالمنفي هنا نفي التكييف منك, يعني لا تكيف، لا تقل ينزل هكذا وهكذا, بل قل ينزل كما أراد الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى والمعنى المراد به.

بلا كيف جل الواحد المتمدِّحُ.

جل: يعني عظم.

الواحد: يعني المنفرد سُبْحَانَهُ وَتعَالَى بالأسماء والصفات والألوهية والربوبية وغير ذلك.

المتمدِّحُ: يعني الذي مَدَح نفسه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ومُدح من خلقه, فهو متمدح سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في كتابه، وأيضًا مدحه خلقه, وأيضًا مدح عباده الذين أطاعوه.

قال:

إلى طَبَــقِ الــدنيا يَمُــنُّ بفضــلِه فتُفــرجُ أبــوابُ الســماءِ وتُفْــتَحُ

إلى طَبَقِ الدنيا: يعني إلى السماء الدنيا.

الطبق: هنا الذي يظل الشيء, المراد: السماء الدنيا.

ولذلك قال:إلى طبق الدنيا: يعني إلى السماء الدنيا.

يمنُّ: يعني يمن على عباده بالعطايا, والمن هو العطاء, والله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى منان بمعنى معطي وكثير العطاء, فالمن من العطاء.

بفضلِه: يعني بخيره سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وبما تفضل به على عباده.

فتُفرجُ: يعني تنفتح وتنشق,أبواب السماء: لنزوله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، فتنشق أبواب السماء,وتُفتحُ: يعني تُفتح عند ذلك عند نزوله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

يقول: ألا مستغفرٌ يلقَ غافرًا: يعني يقول, القائل هو الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, يقول بهذا القول حقيقة, فإذا نزل سُبْحَانَهُ وَتعَالَى إلى السماء الدنيا في آخر الليل, قال:ألا مستغفرٌ.

ألا مستغفرٌ: يعني ألا طالب مغفرة.

(ألا): أداة تنبيه.

ألا مستغفر: يعني طالب المغفرة, والمغفرة: هي ستر الذنب والتجاوز عنه.

فإذا قلت اللّهم اغفر لي أو أستغفر الله؛ فمعناه: اللّهم استر ذنبي وتجاوز عنه.

يلقَ غافرًا: يعني يلقى من يغفر له وهو الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى فيتجاوز عنه إذا استغفره العبد.

ومُستَمنحٌ: يعني طالب المنحة وهو العطاء، يعني يطلب من الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أن يعطيه,خيرًا: يعني من خيرات الدنيا والآخرة.

ورزقًا: يعني ما يقوم به البدن وما يقوم به الدين,كمثلًا: الطعام والشراب واللباس وغير ذلك، وما يقوم به الدين؛كالهداية والعلم النافع وغير ذلك.

فيُمنَحُ: يعني يعطى، المنح: هو العطاء، فيعطى.

قال:

روى ذاكَ قــومٌ لا يُــرَدُّ حــديثُهمْ ألا خــابَ قــومٌ كَــذَّبُوهمْ وقُبِّحــوا

روى: يعني حديث النزول.

روى ذلك قوم: يعني جماعة, والقوم: تُطلق على الرجال والنساء, ولكن إذا ذُكر القوم والنساء اختص القوم بالرجال.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾؛ يعني رجال من رجال,﴿ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾[الحجرات: ١١], فدل على أن القوم هنا يعني الرجال.

روى ذاكَ قومٌ لا يُرَدُّ حديثُهمْ: يعني لا يُرد لصدقهم وعدالتهم وحفظهم.

حديثُهم ألا خاب: يعني خسر.

قومٌ كَذَّبُوهمْ: يعني ما صدَّقوهم فيما قالوا,وقُبِّحوا: يعني قبحوا بما قالوا, عليهم القبح.

وهذه الكلمة كلمة سب, لأنهم لما ردوا حديث أولئك القوم فهم أولى بالسب والشتم فيُقبَّحون.

ذكر المؤلف في هذه الأبيات نزول الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر.

وقد ثبت أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر, ونزول الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يليق به سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، ليس كنزول المخلوق, لأن النزول مضاف إلى الله, الله ينزل, ولكن ليس كمثله شيء في نزوله، كما أنه ليس كمثله شيء في ذاته، كذلك في نزوله ليس كمثله شيء, ليس كنزول المخلوق إذا نزل من العلو إلى السفل كان ذلك العلو فوقه.

الرجل مثلًا إذا كان فوق السطح ثم نزل كان ذلك الشيء فوقه, هذا بالنسبة للمخلوق, أما الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى فهو ينزل وهو فوق كل شيء, لأن العلو من صفاته الذاتية التي لا تنفك عنه.

فهو ينزل ولكن كل المخلوقات تحته سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, ومع ذلك ينزل إلى السماء الدنيا، فلا نعلم كيف, إذا كان كذلك فلا نعلم كيف.

ولذلك المؤلف الناظم قال: لا تكيف, احذر من التكييف, لأنك لا يمكن أن تصف الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى بما هو عليه.

فينزل الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى حقيقة, وينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر, فيقول هل من مستغفر، يعني طالب للمغفرة، هل من سائل فيعطى.

وحديث النزول من المتواتر؛ ولذلك جاء في ثمان وعشرين حديثًا, نزول الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى إلى السماء الدنيا في الليل.

ومن ذلك: ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟».

هذا ثابت في الصحيحين.

وينزل سُبْحَانَهُ وَتعَالَى إلى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر فيُغفر له؟ فينادي سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, وهو نزول حقيقي يليق به سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, ولكن لا نمثل كيف نزوله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى؛ لأن الناظم قال:بلا كيف, المراد هنا نفي التكييف منك.

وهل هو على كيفية؟ نزول الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى هل هو على كيفية؟

الجواب: نعم على كيفية، ولكن هذه الكيفية يعلمها الله ولا يعلمها الخلق, ولو كيفت لكنت كاذب, إذا كيفت كيفية نزول الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى لكنت كاذب في ذلك, لأنك ما رأيت الله ولا رأيت له مثيل ولم نُخبر بذلك, ما قيل أن الله إذا نزل يكون كذا وكذا, ليس كذلك, وإنما نُثبت المعنى, النزول هو أن ينزل الشيء من الأعلى إلى الأسفل، هذا معنى النزول, هذا بالنسبة للمعنى.

أما بالنسبة لله الله أعلم كيف يكون,ولكن نثبت ذلك, مع اعتقاد أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أعلى من كل شيء, ولا يدور في ذهنك أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى إذا نزل كانت السماء

الثانية فوقه، وكانت السماء الدنيا تقله يعني تحمله, هذا ليس إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى -تعالى الله عَزَّ وَجَلَّ- كيف يكون كذلك وهو الذي يجعل السماوات والأرض يوم القيامة على إصبع؟! وكيف يكون كذلك وهو سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يطوي السماوات بيده سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ويقبض الأرض بيده؟!

فلا يمكن أن تحوز هذه المخلوقات الصغيرة لايمكن تحوز الله عَزَّ وَجَلَّ, ولكن ينزل سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وهو فوق كل شيء، لأن العلو من صفاته الذاتية التي لا تنفك أزلًا وأبدًا, فهو نزول حقيقي, ولكن كيف ذلك؟ الله أعلم.

ولا تكون السماء الثانية فوقه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى -تعالى الله عَزَّ وَجَلَّ- يعني ما تُظله؛ لأن هذا ما يكون إلا من المخلوق, أما الخالق ليس كذلك, فالمخلوق إذا نزل من العلو كان هذا العلو فوقه؛ لأنه مخلوق وتحوزه الأشياء, أما الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى فإنه ينزل ولا يكون شيء فوقه.

وقد ذكر قريب من هذا المعنى شيخ الإسلام في الواسطية.

وقد أنكر النزول أهل البدع، وأنكروا ذلك بسبب الشبه

التي حصلت لهم, ولما أتوا لمثل هذه النصوص قالوا: ينزل رحمته، أو ينزل أمره، أو ينزل ملك من الملائكة.

والرد عليهم أن يقال: هل أمره ينزل خاصة بالليل؟ أم أنه عام؟

الجواب الثاني: عام, فأمر الله عَزَّ وَجَلَّ نازل ليل نهار وفي كل وقت, ولا يختص بالليل.

وهل من المعقول أن يقول الأمر من يستغفرني فأغفر له؟ هل الأمر يقول هذا؟من يدعوني فأستجيب له؟وهل من العقل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "ينزل ربنا" يعني أمره؟فيضيف الشيء إلى ربه ويريد أمره.

هل يُعمي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الخلق؟

الجواب: لا يمكن أن يكون هذا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذًا: هذا كلام باطل, أنه ينزل أمره باطل.

أيضًا قالوا: أنه ينزل رحمته.

فالرد عليهم أيضًا من وجوه:

هل هذه الرحمة تقول من يدعوني فأستجيب له؟

الصفة تقول هل من يدعوني فأستجيب له؟

من يستغفرني فأغفر له؟ الرحمة تقول هذا؟ما يمكن.

بل إن شيخ الإسلام قال: من دعا الصفة وخص الصفة فإن هذا كافر، لأنه جعل الصفة ذات منفصلة عن الله عَزَّ وَجَلَّ.

فلا يمكن أن تكون الصفة تقول من يدعوني فأغفر له، من يدعوني فأستجيب له، ومن يستغفرني فأغفر له.

أيضًا هل نزول الرحمة خاص بثلث الليل الآخر؟ أم أن رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى نازلة في كل وقت وفي كل آن؟

الجواب: الثاني.

وأيضًا يُرد عليهم هل الرحمة تنزل إلى السماء الدنيا فتقف ما تصل إلى الأرض؟ ما هي الفائدة في نزول الرحمة إلى السماء ولم تصل إلى الأرض؟ ما هي الفائدة؟ لا فائدة, تبقى في السماء.

أيضًا هل من الممكن أن يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينزل ربنا والمراد رحمته؟يعمي على الخلق؟ يعني افهموا أن الرحمة التي تنزل ولكن اللفظ أن الله هو النازل؟ما يمكن أن يكون من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الشيء.

أيضًا , الذين قالوا ينزل ملك من الملائكة, هل من العقل أن المَلك يقول من يدعوني فأستجيب له؟ مَلَك مخلوق يقول من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟هل الملك يقول هذا؟ ما يمكن, بل إن الملائكة عباد مكرمون لا يعصون الله عَزَّ وَجَلَّ.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾[الأنبياء: ٢٩].

فما يمكن أن يكون أحد الملائكة يدَّعي الألوهية أو الربوبية, ما يمكن.

أيضًا هل من العقل أن يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينزل ربنا يعني مَلك من ملائكته؟ يعني افهموا أني أريد الملك، ما أريد الله؟

لو كان هذا لكان تعمية على الخلق, والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أشد الخلق بيانًا عن مراده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ, فهو أفصح الخلق, ومريد للخلق الخير، وأعلم الخلق بالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وأقدرهم على البيان, فكيف يكون منه هذا؟! ما يمكن أن يكون من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إلى غير ذلك من الردود عليهم.

فالمراد أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ينزل حقيقة ولكن لا تُكيف، فالتكييف ممنوع؛ لأنك إذا اعتقدت بنفسك شيء كنت بذلك كاذب ولابد؛ لأنك ما رأيت الله ولا رأيت له مثيل ولم تُخبر بذلك, ما أُخبرت بذلك.

وأيضًا قال: فتُفرجُ أبوابُ السماءِ وتُفْتَحُ: أي: عند النزول تفتح أبواب السماء.

كما جاء عند الإمام أحمد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي، يَهْبِطُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ».

والسماء لها أبواب, وقد ثبت بالكتاب والسنة.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى : ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾[النبأ: ١٩].

وجاء في الصحيحين من حديث أنس: أن جبريل لما عرج بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرق السماء:«قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ،قِيلَ: مُحَمَّدٌ،قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ،قَالَ: نَعَمْ». ففتحوا الباب, فدل على أن لها أبواب, فتُفتح عند نزول الله سُبْحَانَهُ وَتعالَى.

هنا فائدة: أن الإنسان لا يشتغل يعني لا يُلهيه أهل البدع عن هذا الحديث العظيم وعن هذا المعنى العظيم.

ولذلك أهل البدع قد يلهون الإنسان عن الاشتغال وفَهْم هذا الحديث, وهذا الحديث معناه عظيم؛ وذلك أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وهو العظيم الجليل الغني عن الخلق جميعًا ينزل سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من مستغفر؟ يعني من الذي يطلب المغفرة؟

فيستشعر الإنسان هذا القول من الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ، فيسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يغفر له ويستغفر.

ولذلك لما قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿قَالُوا يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[يوسف: ٩٧-٩٨].

قال المفسرون: إنه أخَّر ذلك إلى آخر الليل عند النزول الإلهي.

فيستشعر الإنسان هذا الشيء, يستغفر الله عَزَّ وَجَلَّ في هذا الوقت حين يبقى ثلث الليل الآخر.

أيضًا من المعاني: أن الإنسان يحرص على أن يكون له تعبد لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في هذا الوقت, يقوم آخر الليل يتعبد لله بصلاة وذكر وما أشبه ذلك, لأن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى قد يغفر له في هذا الوقت ويمنحه العطايا الكثيرة.

فالإنسان يستشعر هذا الوقت ويكون له حظ من العبادة في هذا الوقت.

ومتى يكون الثلث الآخر من الليل؟

الجواب:أنك تقسم الليل من مغيب الشمس إلى طلوع الفجر على اثنين:

فالنصف الثاني: هو ثلث الليل الآخر, يعني من الغروب إلى طلوع الفجر كم ساعة؟ ها الآن كم ساعة؟اثنا عشر, تقسمها على اثنين؟ ست, يعني احسب من غروب الشمس إلى ست ساعات ثم بعدها يكون ثلث الليل الآخر.

ثم قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

وقـل إنَّ خـيرَ النـاسِ بعـد محمَّـدٍ وزيـراه قُـدْمًا ثـم عـثمانُ لارجَـحُ
ورابعُهــمْ خــيرُ البَريَّــة بَعْــدَهُمْ عــليٌّ حليــفُ الخيرِبــالخيرمُنْجِحُ
وإنَّهمُ والرَّهْطَ لا رَيْبَ فيهمُ عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوسِ في الخُلْدِ تَسْرَحُ

سعيدٌ وسعدٌ وابنُ عوفٍ وطلحةٌ وعــامرُ فِهْــرٍ والــزبيرُ المُمَــدَّحُ
وقُلْ خيرَ قولٍ في الصحابةِ كلِّهم ولاتَــكُ طعَّانًــا تَعيــبُ وتَجْــرحُ
فقد نَطَقَ الوحيُ المُبِينُ بفضلِهمْ وفي الفَــتْحِ آيٌ للصَّــحابةِ تَمْــدحُ



قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

وقـل إنَّ خـيرَ النـاسِ بعـد محمَّـدٍ وزيـراه قِـدْمًا ثـم عـثمانُ الارجَـحُ

شرع الناظم رَحِمَهُ اللهُ في ذكر الصحابة وعقيدة أهل السنة فيهم, وعادة أهل السنة في العقائد أن يذكروا الصحابة لأسباب:

من أهمها: أنهم حملة الدين, ولأن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أثنى عليهم في كتابه، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثنى عليهم في سنته؛ ولذلك سيأتينا إن شاء الله أن سب الصحابة يترتب عليه أمور خطيرة جدًا كما سيأتي إن شاء الله.

قال: وقل: يعني أيها السني ومن يريد الخير والنجاة,إنَّ خيرَ الناسِ بعد محمَّدٍ: إن خير الناس يعني أفضل الناس,بعد محمَّدٍ: يعني بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد.

وزيراه: الوزير هو المعين للمَلك الذي يتخذه للمشاورة والمؤازرة والمعاونة, والمراد بهم أبو بكر وعمر.

قال: قِدْمًا: يعني قِدْمًا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الهجرة والمشاهد وغير ذلك.

قال:ثم عثمانُ الأرجحُ.

(ثم) للترتيب والتراخي، يعني بعد أبي بكر وعمر.

عثمان: عثمان بن عفان رَضِي اللهُ عَنْهُ.

الأرجحُ: يعني على القول الراجح.

فذكر الناظم رَحِمَهُ اللهُ في هذا البيت فضل ما يقول السني في الصحابة, فيقول: أيها السني قل خيرًا في الصحابة.

وذكر أن وزيرا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر وعمر, وأبو بكر وعمر أفضل الصحابة. بل إنهم رَضِي اللهُ عَنْهُما أفضل الناس بعد الأنبياء, وقد دل الأدلة الكثيرة على فضلهم, وأبو بكر أفضل من عمر رَضِي اللهُ عَنْهُ, وأبو بكر قد أُثني عليه في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وعمر كذلك رَضِي اللهُ عَنْهُ في العموم وفي الخصوص في السنة.

قال الله تعالى عن أبي بكر: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠],فالصاحب هنا هو أبو بكر.

وكان خائف رَضِي اللهُ عَنْهُ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وفضائله كثيرة.

ولذلك لما اختلف الصحابة مع أبي بكر رَضِي اللهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم:«هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي؟».

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ: «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ».

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ: «وَلَوْ كُنْت مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا».

وغير ذلك من الأدلة.

وعمر رَضِي اللهُ عَنْهُ بعد أبي بكر, وفضائله كثيرة رَضِي اللهُ عَنْهُ.

منها: أنه كان يوافق كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

ولذلك يقول رَضِي اللهُ عَنْهُ: "وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾. وَآيَةُ الْحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ

الْحِجَابِ، ولما نزل تحريمُ الخمر، قال عمر: اللَّهُمَّبيِّن لنافي الخمرِبياناً شفاء، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ الآية[البقرة:٢١٩]".

وجاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعمر: «ما سلكت واديًا إلا سلك الشيطان واديًا غيره»؛ يعني يخاف من عمر رَضِي اللهُ عَنْهُ.

وقال كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة:«سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُنْ فَعُمَرُ»؛ يعني من أمتي. والمحدَّث: هو الذي يُلهَم الصواب.

وغير ذلك من الأدلة.

وأما على العموم فقد جاء في الأحاديث الكثيرة في الثناء على أبي بكر وعمر.

كما جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن يطيعوا أبا بكر وعمر يهتدوا».

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبا بكر وعمر».

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ: «إن أبا بكر وعمر سيدا كُهول أهل الجنة».

وغير ذلك من الأدلة الدالة على فضل أبي بكر وعمر.

وذكر عثمان رَضِي اللهُ عَنْهُ، وعثمان له فضائل كثيرة أيضًا, فهو من الخلفاء الأربعة وفضائله كثيرة.

منها: أنه رَضِي اللهُ عَنْهُ كان تستحي منه الملائكة؛ ولذلك كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوما كاشفًا عن فخذه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ وكان عنده أبو بكر وعمر, فدخل عثمان فغطَّى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ركبته, فقال: «أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ». كانت تستحي منه الملائكة.

يقول رَضِي اللهُ عَنْهُ: "ما لمست فرجي لا في الجاهلية ولا في الإسلام بيدي اليمنى".

فكان ذو حياء عظيم.

وجاء عند الترمذي أنه رَضِي اللهُ عَنْهُ جهز جيش العسرة وأتى للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأموال, أتى بمائة ناقة, ثم مائة ناقة, ثم مائة ناقة، ثم سُرَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى استنار وجهه، فقال: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ».

إلى غير ذلك من فضائله.

قال:الأرجحُ: يعني على القول الراجح, والناظم رَحِمَهُ اللهُ يشير إلى خلاف، خلاف حصل بين أهل السنة في تفضيل علي أم عثمان، يعني أيهما أفضل؟ فذكر أن الراجح هو عثمان.

وقول المؤلف هو الذي استقر عليه إجماع أهل السنة؛ كما قال ابن حجر: أن الإجماع استقر على أن الأفضل عثمان ثم علي.

والجمهور: على أن عثمان أفضل.

وقد اختلف السلف في التفضيل بين عثمان وعلي في أول الأمر.

فقال بعضهم: عثمان أفضل.

وقال بعضهم: علي أفضل.

وقال بعضهم: لا نُفضل بينهم، نقول: أبو بكر ثم عمر ثم نسكت.

وقال بعضهم: نقول عثمان ثم نسكت,ما نذكر علي, يعني لعله يكون أفضل أو يكون بعده. وذكر شيخ الإسلام هذه الأربعة أقوال في الواسطية.

والقول الراجح: أن عثمان أفضل رَضِي اللهُ عَنْهُ, كما أنه مُقدم في الإمامة كذلك هو المُقدم في الأفضلية.

ولذلك قال أحد الصحابة: من قدَّم علي فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار, لأنهم قدَّموا عثمان على علي.

ولذلك لما كان الشورى قال عبد الرحمن بن عوف: إني رأيت الناس لا يعدلون بعثمان أحد.

فهو أفضل, وعلي له فضائل كثيرة كما سيأتينا ذكرها إن شاء الله.

قال:

ورابعُهـــمْ خـــيرُ البَرِيَّـــة بَعْـــدَهُمْ عـــليٌّ حليـــفُ الخيرِبـــالخيرِمُنْجِحُ

ورابعُهمْ: يعني رابع الخلفاء.

خيرُ البَرِيَّة: يعني خير الناس, والبرية: يعني الخلق, والمراد هنا بهم الناس.

بَعْدَهُمْ: يعني بعد الثلاثة.

عليٌّ: علي ابن أبي طالب رَضِي اللهُ عَنْهُ.

حليفُ الخيرِ بالخيرِ مُنْجِحُ: حليف الخير يعني الذي حالف الخير، فكأنه هو والخير حليفان.

والحليف: هو الذي يكون مع الشخص, كما يقال فلان حليف القوم الفلانيون, والحليف هو الذي يكون مع القوم.

فعلي رَضِي اللهُ عَنْهُ كأن الخير حليف له، فهو معه صاحب له وموازي له.

بالخيرِ مُنْجِحُ: يعني أنه أصاب النجاح وفضل وأصاب الخير رَضِي اللهُ عَنْهُ.

وعلي رَضِي اللهُ عَنْهُ له فضائل كثيرة أيضا.

منها: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لما خرج لغزوة تبوك كأن المنافقون تكلموا وقالوا أبقى علي مع النساء وكذا, فلحق بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله خلَّفتني مع النساء، فقال: «أَلَا تَرْضَىٰ بِأَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي».

وفضائله رَضِي اللهُ عَنْهُ كثيرة.

ويقول الإمام أحمد أن من أكثر الخلفاء أتى فيه فضائل هو علي. لأن الناصبة قدحوا فيه رَضِي اللهُ عَنْهُ, ولأنه خرج عليه الخوارج, وبشره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة, كما سيأتي إن شاء الله.

وأيضًا من فضائله أنه زوج ابنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة, وهي أفضل بنات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأيضا من فضائله رَضِي اللهُ عَنْهُ أنه أب للحسن والحسين الذين هم سيدا شباب أهل الجنة, وذرية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين بقوا هم من ذرية علي, يعني آل البيت الذين بقوا من ذرية علي, من ذرية علي الحسن والحسين وفاطمة.

وغير ذلك من فضائله رَضِي اللهُ عَنْهُ.

وهؤلاء الأربعة أفضل الصحابة, ولهم سنة متبعة؛ كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلاَمَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي -يعني الزموها- وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ بَعْدِي».

فلهم سنة متبعة, وهم أفضل الصحابة رَضِي اللهُ عَنْهُم.

قال الناظم:

وإنَّهمُ والرَّهْطَ لا رَيْبَ فيهمُ عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوسِ في الخُلْدِ تَسْرَحُ

وإنَّهمُ: يعني هؤلاء.

والرَّهْطَ: هم الجماعة من الثلاثة إلى العشرة.

لا رَيْبَ فيهمُ: يعني لا شك فيهم وفي فضلهم.

عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوسِ.

عَلَى نُجُبِ. النُّجب: هو ما يركب عليه, كالفرس والبعير الذي يحمل الإنسان؛ وذلك أن أنهم يُحملون على الدواب التي تكون في أهل الجنة كالفرس مثلًا أو الإبل.

قال: عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوسِ: يعني يسرحون في الفردوس, والفردوس: هي أعلى الجنة.

في الخُلْدِ تَسْرَحُ.

في الخُلْدِ: يعني في جنة البقاء, في المكان الذي يبقى فيه, تَسْرَحُ: يعني تذهب وتأتي, من المسراح وهو الذهاب في الصباح, والمراد أنها تذهب وتأتي.

قال:

سعيدٌ وسعدٌ وابنُ عوفٍ وطلحةٌ وعامرُ فِهْرٍ والزبيرُ المُمَدَّحُ

ذكر الناظم رَحِمَهُ اللهُ باقي العشرة, وهؤلاء يسمون العشرة المبشرون بالجنة.

وسموا بذلك: لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشرهم بحديث واحد، أو لأنهم ذكروا في حديث واحد.

كما جاء عند الترمذي من حديث عبد الرحمن بن عوف أنه قال: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ».

فذكر العشرة في حديث واحد, وهم العشرة المبشرون بالجنة, وهم أفضل الصحابة, وهم من السابقين إلى الإسلام, وشهدوا المشاهد مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, ومن أوائل من أسلم.

وأبو بكر رَضِي اللهُ عَنْهُ أسلم بسببه خمسة من هؤلاء, أبو بكر أسلم بسببه خمسة من هؤلاء المبشرون بالجنة, فهم أفضل الصحابة.

سعيدٌ: يعني سعيد بن زيد رَضِي اللهُ عَنْهُ,وسعيد بن زيد له فضل وهو من العشرة, وكان رَضِي اللهُ عَنْهُ مستجاب الدعوة, وقد قالت فيه امرأة أنه غصب لي أرض–وكانت كبيرة في السِّن– فقال رَضِي اللهُ عَنْهُ: "اللّٰهم إن كانت كذبت علي فأعمي بصرها وأمتها في أرضها". قال: فأُصيبت تلك المرأة بالعمى, فكانت تمشي يوما فسقطت في بئر في أرضها فماتت فيه.

ولذلك لما أُتي بها عند القاضي ليُقضى يعني أراد منها القاضي أن يقول ما عنده, قال: كيف آخذ منها الأرض والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، طُوِّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ». قال: هذا يكفي.

قال:وسعدٌ: يعني سعد بن أبي وقاص,وهو من العشرة المبشرين بالجنة, وكان رَضِي اللهُ عَنْهُ, من فحول العرب رَضِي اللهُ عَنْهُ.

قال:وابنُ عوفٍ: يعني عبد الرحمن بن عوف, وهو من العشرة رَضِي اللهُ عَنْهُ وله فضل؛ وذلك أنه كان كثير الصدقة وكان كثير الخير والطاعة, وقد تصدق مرة بقافلة على أهل المدينة, وغير ذلك من فضائله.

قال:وطلحةٌ: يعني طلحة بن عبيد الله رَضِي اللهُ عَنْهُ, وله فضائل لأنه من العشرة.

قال:وعامرُ فِهْرٍ: يعني عامر بن الجراح رَضِي اللهُ عَنْهُ, وهو من العشرة المبشرين بالجنة وله فضل.

قال:والزبيرُ: يعني الزبير بن العوام رَضِي اللهُ عَنْهُ, وهو من العشرة المبشرين بالجنة وله فضائل.

قال:المُمَدَّحُ: يعني الذي له المدائح والثناء.

ذكر العشرة المبشرون بالجنة, وهؤلاء العشرة يقدح فيهم الرافضة سوى علي, فهم استثنوا علي وقدحوا في الباقي.

قال:

وقُلْ خيرَ قولٍ في الصحابةِ كلِّهم ... ولاتَكُ طعَّانًا تَعيبُ وتَجْرحُ

ثم ذكر الناظم العموم بعد الخصوص, قال:وقل: يعني أيها السني ويا من يريد نجاة نفسه.

خيرَ قولٍ في الصحابةِ: يعني في جميع الصحابة, جميع من صحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والصحابة جمع صحابي, وهو من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به ومات على ذلك, ولو تخلل ذلك ردة؛ كما قال ابن حجر على الأصح, فهو من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به ومات على ذلك,فإذا خلت هذه الشروط فليس بصحابي.

فمن شروط الصحبة أن يلاقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فأبو جهل مثلًا لاقى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكنه ما آمن به.

هذا الشرط الأول: أن يلاقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذًا بعض الناس يخرج من هذا, لأنه سيأتي شروط لم تنطبق عليه.

أيضًا: أن يكون مؤمنًا به, يعني يؤمن بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وهذا خرج منه أبو جهل, ما آمن بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومات على ذلك, فمثلًا الرجل الذي أسلم, النصراني الذي أسلم ثم قرأ البقرة وآل عمران ثم ارتد ومات, هل يدخل في الصحابة؟

الجواب: لا, لأنه ارتد، لابد أن يموت على الإسلام.

وأيضًا العرب الذين أسلموا في فتح مكة ثم ارتدوا هل يدخلون في الصحابة؟

الجواب: لا, لأنهم ما ماتوا على ذلك.

فلابد من هذه الشروط.

قال:كلِّهم: يعني جميع الصحابة الذين انطبقت عليهم الشروط.

أيضا ذكر قال:كلِّهم ...ولاتَكُ طعَّانًا: يعني احذر أن تكون طعان.

والطعان: الوخاز الذي يطعن في الشيء، كالذي يطعن بالسكين مثلًا.

والطعان: صيغة مبالغة يعني كثير الطعن,وليس المراد أنه لا تكن طعانًا يعني كثير الطعن ولكن كن طعنك قليل، لا, ليس هذا المراد, بل المراد لا تطعن في أي صحابي, لا بالكثير ولا القليل, وذِكر الكثير يُغني عن القليل.

ولا تَكُ طعَّانًا تَعيبُ: يعني, يريد أن يسيء إلى الشخص بذكر أشياء يعيبه بها.

وتَجْرحُ: يعني تجرح هذا الصحابي, والجرح: هو الكلم، فكما أن الإنسان يجرح بالسكين فيخرج منه دمه فكذلك الذي يجرح بالقول، يجرح.

فأمر الناظم رَحِمَهُ اللهُ أن يقال في الصحابة خيرًا, وسيأتي إن شاء الله ذكر فضائل الصحابة في البيت الذي بعده.

ولكن ذكر الحذر من الطعن, والطعن في الصحابة يترتب عليه امور خمسة:

الأمر الأول: القدح في الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى؛وذلك من وجهين:

- الوجه الأول: أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أثنى عليهم في كتابه.

أليس الله قد أثنى على الصحابة؟

الجواب: بلى.

فالذي يطعن في الصحابة يقدح في الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, فكأنه يرد على ربه, كأنه يقول: يا رب إنك تثني على الصحابة وهم ليسوا كذلك, وأنا أعلم عنهم ما لا تعلم–أعوذ بالله–.

كأنه يقول هذا الشيء بلسان حاله, فهو يقدح في الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, لأن كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى مليء بالثناء على الصحابة, إما على الخصوص وإما على العموم.

– أيضا الوجه الثاني: أنه يقدح في الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى لأن الله اختارهم لنبيه.

فكيف يختار الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وهو العليم الخبير لنبيه مثل هؤلاء الذي يعتقد فيهم هذا؟ يعني كيف يكون محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليل الله ويختار الله له أسوأ الناس؟ كيف يكون هذا؟

يعني لو كان رجل من الصالحين لاختار الله عَزَّ وَجَلَّ له رجل صالح معه, فكيف يختار لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أفضل البشر يختار له مثل هؤلاء الذي يقدح فيهم هذا؟ فهو قدح في الله، كأنه يقول يا رب ألم تجد إلا هؤلاء تختارهم لنبيك؟ كأنه يقول هذا, فهو يقدح في الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يختار لأنبيائه أفضل الأصحاب, كما اختار لعيسى الحواريين، ولموسى أصحابه, وكذلك لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاختار له أفضل البشر بعد الأنبياء.

الأمر الثاني: أنه يقدح في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وذلك من وجهين:

– الوجه الأول: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثنى عليهم, فإذا قدح فيهم القادح كأنه يقول يا رسول الله إنك تثني على أناس ليسوا أهلًا للثناء, وإنك لا تعلم ما أعلم فيهم.

هو يقدح في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, ويُكذِّب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله.

- الوجه الثاني: أنه يقدح في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحبته, بمعنى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختارهم أصحاب له وجلساء له، فكيف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلح الناس يختار هؤلاء؟ الذي يظن فيهم هذا الظان كيف يختارهم لنفسه؟

وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ: «الْمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».

وأمر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ قال:«لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ».

فكيف هو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ يصاحب من يعتقد بهم هؤلاء؟ كيف؟ فهو قدح في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأمر الثالث: أنه قدح في القرآن.

ووجه ذلك: أن الذين بلَّغوا القرآن هم الصحابة, فالقرآن الذي بين أيدينا إنما أتانا بسبب الصحابة,فهم الذين بلغوا القرآن, وهم الذين جمعوه, فمن قدح فيهم كأنه يقول القرآن أتى به أناس ليسوا بثقات,فهو يقدح في القرآن.

الأمر الرابع: أنه يقدح في الإسلام, يقدح في الإسلام نفسه؛ وذلك أن الذين بلغوا الإسلام بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم الصحابة, فالذي يقدح في الصحابة كأنه يقول إنما أتاكم الإسلام بأناس فيهم كذا وكذا من السب والشتم, كما يعتقد الرافضة أو غيرهم من أهل البدع.

فهو يقدح في الإسلام, كأنه يقول كيف تتمسك بهذا الإسلام والذي أتى به أناس كفروا أو فسقة أو نحو ذلك كما يقول.

الأمر الخامس: أنه قدح في الصحابة أنفسهم.

والواجب على هذا القادح: أن يثني عليهم كما أثنى الله ورسوله عليهم, فإذا قدح فيهم فهو خالف الله ورسوله, فهو يقع في قدح الصحابة. وسيأتينا إن شاء الله حكم القدح في الصحابة.

الأمر السادس: أنه يقدح في آل البيت؛ ولذلك الرافضة الذين يقدحون في الصحابة هم في الحقيقة يقدحون في آل البيت؛ وذلك من وجهين:

- الوجه الأول: أن آل البيت بقوا مع الصحابة وقدموهم, وقدموا أبو بكر وعمر وعثمان في الخلافة, وقدموهم في غير ذلك واتخذوهم أخلاء, ورأوا أن لهم فضائل ورووا لهم فضائل وغير ذلك.

فهو يقدح في آل البيت, كأنه يرد على آل البيت، يقول كيف تقولون الصحابة هكذا وهم خلاف ما تقولون؟فيقدح في آل البيت.

- الوجه الثاني: أنه يقدح في آل البيت لأن آل البيت ناسبوا الصحابة؛ ولذلك عمر رَضِي اللهُ عَنْهُ تزوج ابنة علي أم كلثوم, فكأنه يقول يا علي كيف زوجت هذا الرجل الذي فيه كذا وكذا, كما يقول الرافضة, فهو يقدح في آل البيت.

وغير ذلك مما يترتب.

ولذلك العلماء لما رأوا أن الأمر جلل في القدح في الصحابة حذروا من هؤلاء الذين يقدحون في الصحابة, يعني من السلف من قال: إن هؤلاء القوم ما أرادوا إلا الإسلام, قدحوا في الصحابة حتى يقال أن حملة الإسلام أناس فسقة أو كفار كيف تقبلون به؟

وبعض السلف قال:إنما أرادوا النبي, ما قدروا أن يقولوا أن محمد فيه كذا وكذا, لا, قالوا نقدح في أصحابه حتى يعود القدح عليه.

ولذلك الذين يقدحون في عائشة -قاتلهم الله- في الحقيقة يقدحون في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويؤذونه في عرضه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ، وهو أشرف عرض.

والقدح في الصحابة أقسام:

القسم الأول: أن يقدح في الصحابة جميعهم, فيقول جميع الصحابة كفار أو فسقة إلا قليل، كفعل الرافض, فاستثنوا خمسة أو ثلاثة أو سبعة أو عشرة أو نحو ذلك, فهذا الفعل كفر, الذي يفعل هذا الشيء فهو كافر, لأنه مكذب للكتاب والسنة, ولأنه كما تقدم يقدح في الإسلام والكتاب وغير ذلك من الأمور, فهو مكذب لكتاب والسنة ولإجماع المسلمين, كما ذكر ذلك شيخ الإسلام في "الصارم".

القسم الثاني: أن يقدح في الصحابة بغير الكفر والفسوق، بما لا يقع في الدين, كأن يقدح في صحابي بالبخل أو غير ذلك, فهذا لا يكفر، ولكنه يؤدَّب, ويؤدبه ولي الأمر, كما ذكر شيخ الإسلام أيضًا.

القسم الثالث: أن يرمي الصحابة باللعن والشتائم, فإن كان قدح في أبي بكر وعمر قد يخرج من الإسلام, لأنه مكذب للنصوص, فالقدح في الصحابة ليس بالأمر السهل والهين, لأن القدح في الصحابة كما تقدم يرجع إلى الإسلام وإلى القرآن, بل إنه قد يصل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وكلامه القرآن, فالقدح في الصحابة ليس بالأمر الهين.

وأما من يرمي أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبهتان, فإن كان عائشة رماها بما برأها الله منه فهو كافر بإجماع العلماء, نقل الإجماع غير واحد من العلماء, منهم النووي كما في شرح مسلم, وشيخ الإسلام, وابن القيم في الزاد, وابن كثير في التفسير, نقلوا الإجماع على أن من رمى عائشة بما برأها الله منه فهو كافر, لأنه مكذب لكتاب الله.

أليست سورة النور ثناء على عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُا وتبرئة لها؟

الجواب: بلى.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾؛ يعني بالكذب,﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾؛ يعني جماعة,﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾[النور: ١١].

ولذلك تقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُا لما نزلت هذه الآيات قالت: "وَاللَّهِ مَاظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا،وَلَأَنَا أَحْقَرُفِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِ الْقُرْآنِ فِي أَمْرِي،وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُوأَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ".

حتى أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أنزل فيها رَضِيَ اللهُ عَنْهُا كتاب يُتلى في المحاريب في براءتها وطهارتها رَضِيَ اللهُ عَنْهُا, فهي الصديقة بنت الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُا.

الثاني: أن يقدح في باقي أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فهذا يقول شيخ الإسلام فيه قولان:

أنه كالقدح في باقي الصحابة.

والقول الثاني: أنه يكفر.

قال: وهو الأصح.

ورجحه ابن كثير قال: هذا هو القول الصحيح أنه يكفر, لأنه مكذب لكتاب الله ولأنه يؤذي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ومن أشد ما يؤذي الإنسان هو أن يُقدح في عرضه.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾[النور: ٢٦]. قال المفسرون: أن الطيبون من الرجال للطيبات من النساء, والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء.

فمن قال أن زوجة من زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها غير طيبة, فكأنه يقول زوج هذه المرأة غير طيب.

ولذلك ذكر العلماء مثل هذا الشيء.

وأيضا لأنه يؤذي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, يؤذي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عرضه, كأنه يقول يا رسول الله ألم تجد إلا هذه المرأة تتخذها زوجة وهي فيها كذا وكذا؟

وهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ من أشد الرجال غيرة, كما رأى سعد بن عبادة قال:«تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ».

وسعد كأنه قال: لو وجدت رجلًا على امرأتي لضربتهم بالسيف وقطعتهم نصفين, المرأة والرجل, من شدة الغير.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي».

فكأنه يصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقلة الغيرة وغير ذلك.

ولذلك يقول ابن عباس: "أنه ما زنت امرأة نبي قط". وهذا من حفظ الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى لعرض أنبيائه.

فيُحذَر من القدح في الصحابة.

والصحابة على مراتب، القدح فيهم على مراتب, قد يصل القدح في بعض الصحابة إلى الكفر, كالقدح في أبي بكر، إذا لعنه أو سبه أو شتمه.

فمن العلماء من قال يكفر.

ومن العلماء من قال يكفر إن استحل, فهو وقع في ذنب عظيم,قد وقع في ذنب عظيم، فإن استحل كفر، وإن لم يستحل فهو على خطر أن يكفر.

فعند بعض العلماء يكفر حتى ولو لم يستحل.

وكذلك عمر وعثمان وعلي والعشرة كما تقدم, لأن لهم فضائل ظاهرة متواترة, أما إذا قدح في عامة الصحابة فالجمهور على أنه لا يكفر.

إذا قدح مثلًا في معاوية رَضِي اللهُ عَنْهُ أو في غيره من الصحابة كأبي هريرة أو غيرهم من الصحابة فإنه أكثر العلماء على أنه لا يكفر، ولكنه فعل ذنب عظيم، بل إنه من كبائر الذنوب.

وينبه إلى أن معاوية رَضِي اللهُ عَنْهُ قيل: أنه هو البوابة التي يصل الإنسان منها إلى الصحابة، إذا رأيت الرجل يتنقص معاوية فاعرف أنه سيتطاول حتى يصل إلى الصحابة.

والصحابة رَضِي اللهُ عَنْهُم وقع في عرضهم بعض الفرق الضالة كالرافضة, فالرافضة مثلًا يتدينون بسب الصحابة ويرون أن هذا فضل عظيم, بل إنهم يسبونهم ويلعنونهم في الصلاة, بل إنهم يُكثرون اللعن على أفضل الصحابة, كأبي بكر وعمر أو العشرة,فهم يبغضون العشرة, وأشد بغض لهم أبو بكر وعمر.

ومن الناس من سب آل البيت كالنواصب, النواصب يسبون آل البيت, وقعوا في علي رَضِي اللهُ عَنْهُ.

وأهل السنة أحبوا هؤلاء-يعني الصحابة- وأحبوا آل البيت, وقدموا ما قدمه الله ورسوله, وأمسكوا بألسنتهم وقلوبهم وأيديهم وأذهانهم عن الكلام في الصحابة.

ولذلك السني يمسك عما حصل بين الصحابة, بلسانه, لا يتكلم في ذلك, وبقلبه, لا يقع في قلبه هذا الشيء يحدث نفسه, ويبغض صحابي دون صحابي, أو يقول صحابي أصاب وصحابي كذا,ولا يكتب في الصحف ونحو ذلك, يقول حصل من الصحابي كذا.

وبسمعه أيضا، ما يحب أن يسمع القدح في الصحابة, هذا هو السني, يُمسك عما شجر بين الصحابة.

وما وقع من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم من الفتن التي قُدرت عليهم هم فيها بين مصيب له أجران, وبين مخطئ، اجتهادًا وله أجر على اجتهاده, مخطئ وهو مجتهد وله أجر على اجتهاده.

ولذلك قال شيخ الإسلام: أن ما روي في مساوئ الصحابة في الكتب لا يخلو من ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يكون كذب,فهذا لا يُلتفت إليه وهو مطروح, وهذا يكثر عند الرافضة يكذبون على الصحابة, فيقولون كسر علي ضلع الزهراء, واغتصبوا الخلافة من علي وكذا, وغير ذلك مما يقولون, وهذا كذب مطروح.

القسم الثاني: ما زِيد فيه ونقص, يعني حصل شيء ولكنه زِيد, فهذا لا يُنظر إليه أيضا, لأن الخبر لابد أن يكون على وقوعه.

القسم الثالث: ما وقع, منهم بين مجتهد مصيب ومجتهد مخطئ له أجر؛ كما ذكر شيخ الإسلام ذلك والنووي وغيرهم ذكروا مثل هذا.

قال الناظم:

فقد نَطَقَ الوحيُ المُبِينُ بفضلِهمْ   وفي الفَتْحِ آيٌ للصَّحابةِ تَمْدحُ

فقد نَطَقَ: يعني النطق بالقول المسموع.

فقد نَطَقَ الوحيُ: يعني القرآن,فيُسمع من القرآن من آيات القرآن هذا الشيء.

المُبِينُ: يعني الواضح البيِّن, المبين للأشياء التي يخبر الأشياء على حقيقتها ووقوعها لا زيادة ولا نقص, فما أخبر به الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى هو على الحقيقة, فالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى بكل شيء عليم, وهو أصدق القائلين سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

بفضلِهِمْ: يعني فضائلهم ومزاياهم, والآيات كثيرة في القرآن بفضل الصحابة.

وقد يراد أيضا بالوحي السنة, فيقال الوحي، لأن الوحي يُطلق على الإيحاء للنبي, والوحي هو أن يأتي النبي إما قرآنا وإما أن يأتيه أوامر ونواهي, وقد نطق الكتاب والسنة بفضل الصحابة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١٠٠].

وجاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

جبل أُحد, وهو محيط بالمدينة, وقد ذُكر أنه قدر بالوزن أكثر من (أربعة مليار كيلو), أكثر بكثير، لو أنفق هذا الشيء مثل هذا العدد كيلوات من الذهب ما بلغ مُد أحدهم.

المُد: هو ملء اليدين المستويتين الخلقة.

يعني لو أنفق صحابي ملء هذه اليد، وأنفق هذا الرجل مثل أحد ذهب، فالصحابي أفضل, إنفاق الصحابي أفضل.

«مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»؛ يعني: ولا نصيف المد.

فهذا يدلك على أن العمل من الصحابي خير من العمل ممن بعده.

ولذلك لما فاضل أحدهم بين معاوية وغيره من السلف قال:"إن غبار أثير في أنف معاوية رَضِي اللهُ عَنْهُ مع رسول الله خير من ذلك الرجل.

وقد جاء أن الرجل لو عُمِّر عُمْر نوح يعمل في الطاعة ما بلغ صحابي واحد.

ولذلك جمهور العلماءعلى أن الصحابة أفضل ممن بعدهم مطلقًا؛ كما ذكر ذلك شيخ الإسلام وابن حجر وغيره.

وغير ذلك من الفضائل.

قال:وفي الفَتْحِ: يعني في سورة الفتح خاصة.

وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾[الفتح: ١].

آيٌ، آيٌ: يعني جمع آيات كثيرة وليست آية واحدة.

آيٌ للصَّحابةِ تَمْدَحُ: يعني تمدح الصحابة.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في سورة الفتح:﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[الفتح: ٤].

وأيضا قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[الفتح: ١٠]. وكانوا يبايعون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨]. "إذ": هنا تدل على وقوع الرضا عنهم في هذا الوقت, وهي تدل على أن رضا الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى صفة فعلية، يعني رضي عنهم في ذلك الوقت لما بايعوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾؛ يعني: من الصدق والإيمان والإخلاص.

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

وقال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في خاتمة السورة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[الفتح: ٢٩].

"الذين": اسم موصول يشمل العموم، يعني جميع من مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم الصحابة.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾؛ كما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بذلك, فهم على ما أمر الله.

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾؛ يعني: تجد الرحمة بينهم كما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ أن يكون كذلك المؤمنون.

قال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾. تراهم بين صلاة وسجود.

﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ﴾؛ يعني: يطلبون. ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾؛ يعني ما يريدون مدحًا من الناس ولا أموال دنيا ولا غير ذلك. ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾؛ يريدون رضا الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وفضله وإنعامه عليهم.

﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾، السيماء: هي البياض الذي يكون في الوجه من أثر العبادة والذكر والطاعة والإيمان.

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾؛ يعني من كثرة الصلاة ومن كثرة الذل والخضوع لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ﴾؛ يعني لهم مثلان: المثل الأول في التوراة, والمثل الآخر في الإنجيل.

قال: ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾؛ يعني صفتهم في التوراة.

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾؛ يعني: أخرج فرخه, فالزرع يخرج منها الصغير هذا.

﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ﴾؛ يعني: قواه. ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾؛ يعني:هذا الفرخ كبر. ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾؛ يعني: قام على نفسه وقوي بنفسه، كذلك الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم كانوا قليل ثم زادوا وقووا.

﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾؛ يعني: ليغيظ الله عَزَّ وَجَلَّ بالصحابة الكفار.

ولذلك يقول السلف: من غاظه الصحابة فهو ليس بمؤمن وقد وقعت عليه الآية, يعني من تغيظ على الصحابة فهو ليس بمؤمن, لأنه ما يبغضهم إلا كافر؛ كما قال سُبْحَانَهُ

وَتعَالَى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾, بعد الآية؟ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾، "من" هنا بيانية وليست للتبعيض, لأنه تقدم أن "الذين" كلهم.

﴿مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، فوعدهم الله عَزَّ وَجَلَّ بالمغفرة والأجر العظيم.

قال الناظم:

وبالقَـــدَرِ المَقْـــدُورِ أيقِـــنْ فإنـــه   دِعامَةُعَقْدِالـــدِّينِ والـــدِّينُ أفْـــيَحُ

ثم ذكر الناظم في هذا البيت القدر, لأنه من صلب العقيدة.

قال:وبالقَدَرِ المَقْدُورِ. القدر: هو تقدير الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى للكائنات بحسب ما سبق به علمه واقتضته حكمته. هذا تعريف القدر, تقدير الله عَزَّ وَجَلَّ للكائنات بحسب ما سبق به علمه واقتضته حكمته سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وقال الإمام أحمد: أن القدر قُدرة الله, لأن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى على كل شيء قدير.

ومن ذلك: أنه يقدر الأشياء فتقع على ما أراد.

ولذلك قال ابن القيم:

فَحَقِيقَـةُ القَـدَرِ الَّـذِي حَـارَ الـوَرَى   فِي شَـــأْنِهِ هُـــوَقُـــدْرَةُالـــرَّحْمنِ
واسْتَحْسَنَ ابنُ عَقِيلَ ذَا مِنْ أحْمدٍ   لَمَّـا حَكَـاهُ عَـنِ الرِّضَـا الرَّبَّـانِي
قَـالَ الإمَـامُ شَـفَا القُلُـوبَ بلَفْظَةٍ   ذَاتِ اخْتِصَـارٍ وَهْـيَ ذَاتُ بَيَـانِ

يعني هذه الكلمة مختصرة ولكن لها معنى عظيم.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: أن القدر قُدرة الله كما تقدم.

قال:المَقْدُورِ: يعني المحكم.

أيقِنْ: يعني كن على يقين, واليقين: هو العلم الذي لا يخالطه شك. هذا هو اليقين.

فإنه: يعني القدر، فإنه ...دِعامَةُعَقْدِالدِّينِ.

دِعامَةُ: يعني الشيء الذي يعتمد عليه الدِّين.

عَقْدِالدِّينِ: يعني كأنه حلقة الدِّين الذي يعتمد عليه.

ولذلك ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: أن القدر نظام التوحيد.

لذلك من لا يؤمن بالقدر ليس بموحد, الذي لا يؤمن بالقدر ويُكذب به.

قال:فإنه ...دِعامَةُعَقْدِالدِّينِ والدِّينُ أفْيَحُ.

ما معنى والدِّينُ أفْيَحُ؟ يعني واسع, وهو قريب منه واضح, يعني واضح وواسع.

فذكر الناظم في هذا البيت القدر

ومراتب القدر أربعة:

الأولى: العلم، وهو علم الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى بالأشياء قبل وقوعها وبعد وقوعها وما لم تقع لو وقعت كيف تقع, وعلم الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى شامل لأفعاله وأفعال عباده، لفعله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ولفعل عباده.

فالمرتبة الأولى: أن يؤمن الإنسان بأن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى علِم كل شيء جملة وتفصيلًا, أزلًا وأبدًا, جميع الأشياء التي وقعت والتي لم تقع، والتي لو وقعت كيف تقع.

المرتبة الثانية: الكتابة، أن يؤمن الإنسان أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

المرتبة الثالثة: المشيئة، وهو أن يؤمن الإنسان أن ما من شيء وقع أو سيقع إلا وقد شاءه الله, وأنه لا يقع في مُلك الله إلا ما شاء, فما وقع وما سيقع من الطاعات والمعاصي والحوادث التي وقعت والتي ستقع هو بمشيئة الله, فقد شاء الله أن تقع فوقعت, وشاء بعض الأشياء ألا تقع فما وقعت.

المرتبة الرابعة: الخَلق، وهو أن يؤمن الإنسان أن ما من مخلوق إلا والله خالقه.

وذلك أن الوجود قسمان:

الأول: وهو الخالق وهو الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, وهو سُبْحَانَهُ وَتعَالَى الأول الذي ليس قبل الشيء والآخر الذي ليس بعد الشيء.

الثاني: الموجودات التي وجدت بعد أن كانت معدومة وهي المخلوقات,فجميع ما سوى الله مخلوق, موجَد بعد أن كان معدوم, يعني المخلوقات وإن كانت بعيدة في الماضي

فقد مر عليها وقت كانت معدومة,فما من موجود إلا وقد سبقه العدم, يعني سوى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, أعني المخلوقات, ما من مخلوق إلا وقد سبقه العدم.

وهذه المراتب لها أدلة من الكتاب والسنة.

فأما الأدلة على العلم فكثيرة:

قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[الحديد: ٢٢].

قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٤٠].

وحكى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى عن ملائكته قالوا:﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[غافر: ٧].

وأدلة العلم كثيرة من كتاب الله.

وجاء في الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«ما من نفسٍ منفوسةٍ إلا وقد عُلِم مكانهامن الجنةأوالنار». فالله عَزَّ وَجَلَّ عالم.

والأدلة على مرتبة الكتابة كثيرة:

ومنها قوله تعالى:﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[الحديد: ٢٢].

وجاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«إِنَّ اللهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَالْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ».

وقال عبادة بن الصامت لما وعظ ابنه وأوصاه قال:"يا بني اعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك, سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:«إِنَّ أول ماخلق اللهالقلمقال له: اكتبْ فجرىٰ في تلك السَّاعة بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة».

والأدلة على مرتبة المشيئة كثيرة:

منها قوله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[الإنسان: ٣٠]؛ يعني ما يقع من العبد مشيئة, حلال أو حرام، طاعة أو معصية, إلا وقد شاء الله عَزَّ وَجَلَّ قبل ذلك.

فمثلًا: زيد من الناس شاء أن يسرق, فإذا سرق فقد شاء الله قبل أن يشاء زيد.

وإذا صلى زيد مثلًا, إذا خرج إلى الصلاة فصلى فقد شاء الله أن زيد يصلي.

فما يقع في ملكوت الله إلا ما شاءه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

ولذلك لما أنكر بعض أهل البدع مشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ ردَّ عليهم السلف, قالوا أيقع في ملك الله ما لا يشاء–تعالى الله عَزَّ وَجَلَّ عن ذلك–.

والأدلة على مرتبة الخلق فكثيرة أيضا:

منها قوله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى:﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾[الملك: ٢].

وقال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر: ٦٢], ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[الأعراف: ٥٤].

وغير ذلك من الأدلة.

أيضا يُقسَّم القدر في ما يختص العبد, الى قسمين فأفعال العبد نوعان: اختيارية, واضطرارية.

اختيارية؛ بحيث أن العبد يكون له اختيار, فهذه يُسأل عنها الإنسان ويُحاسب عليها.

كمثلًا: زيد يختار الطاعة, فلا يجبر على هذا الشيء بل يختار بنفسه, هذه اختيار.

وفلان من الناس يختار المعصية,وهو لا يجبر على المعصية, فهو له اختيار.

الثانية: الأفعال الاضطرارية, وهي التي يفعلها الإنسان اضطرارًا من غير اختيار, كالارتعاش مثلًا, إنسان أصيب بمرض فأصبح يرتعش, هذا لا يُنكر عليه، لا يقال له لما ترتعش اتق الله، لا يقال له هذا.

وكذلك لو أن إنسانًا من الناس مثلًا أصيب بشلل فسقط على الأرض, لا يقال له اتق الله قم فصلي,فإن هذه اضطرارية, لا يقدر الإنسان أن يغير تلك الحالة.

أيضا مما يُقسَّم عليه القدر:أن القدر له جانبان:

جانب مخفي عن الخلق, فهذا لا يُبحث فيه وهو سر الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في خلقه, فلا يقال مثلًا لما هدى الله زيد وأضل عمرو؟ لما أعز الله فلان وأذل فلان؟ لما أعطى الله فلان ولم يعطي فلان؟ لما خلق الله كذا؟ لما أوقع الله المعاصي كذا ولم يوقعها في المكان الفلاني؟ لما وقعت المعاصي لما؟ فيقع في اتهام الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في حكمته, وهذا من أسباب الضلال.

كما قال شيخ الإسلام:

وأصل ضلال الخلق من كل فرقه ... هـو الخـوض في فعـل الإله بعلـة

فـإنهمولم يفهمـوا لـه حكمـة ... فصـاروا في نـوع مـن الجاهليـة

لذلك الذين ضلوا في باب القدر بسبب هذا الشيء, أقحموا عقولهم فيما هو مستور.

الثاني: هو الجانب الذي يُبحث فيه ويجوز البحث فيه والقراءة فيه والنظر فيه, وهو مراتب القدر ودراسة مراتب القدر, والبحث عن بعض الحكم والعلل التي قد تُعلم.

كما يقال مثلًا ما الحكمة من الوضوء من أكل لحم الإبل؟ هذا يجوز.

أو يقال مثلًا ما الحكمة من أن الغضبان لا يقضي بين المتحاكمين إليه؟

وهكذا, فهذه علل قد تُلتمس فيجوز البحث فيها, وهي من القدر.

يقول النَّاظم رَحِمَهُ اللهُ:

ولا تُنْكِـرَنْ جَهْـلًا نَكِـيرًا ومُنْكَـرًا ... ولاالحَـوضَ والمِيـزَانَ إنَّـكَ تُنْصَـحُ

وقـل يُخْـرِجُ اللهُ العظـيمُ بفضـلِهِ ... مِـنَ النَّارِأجسـادًامِنَ الفحْـمِ تُطْـرَحُ

علـى النَّهْـرِ في الفِـرْدَوسِ تَحْيَـا بمائِـهِ ... كَحَـبِّ حَمِيـلِ السَّيْلِ إذجَـاءَ يَطْفَـحُ



قال النَّاظم رَحِمَهُ اللهُ:

ولا تُنْكِـرَنْ جَهْـلًا نَكِـيرًا ومُنْكَـرًا ... ولاالحَـوضَ والمِيـزَانَ إنَّـكَ تُنْصَـحُ

ذكر المؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ في هذا الموضع ما يتعلَّق باليوم الآخر, وذلك أنَّ الإيمان باليوم الآخر من أصول العقيدة، كما ذكر ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ أنَّ العلوم ثلاثة:

- الأول: العلم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى, بأسمائه وصفاته وما يتعلَّق بذلك.

- الثَّاني العلم بالحلال والحرام, أحكام الصلاة وأحكام الزكاة، وهلمَّ جرًّا.

- الثَّالث: ما يتعلَّق باليوم الآخر, مما يكون بعد الموت, مما يكون في القبر, وفي عرصات القيامة، وفي الجنَّة والنَّار.

فالعلوم ثلاثة كما ذكر ذلك في النُّونيَّة.

قال: ولا تُنْكِرَنْ. لا تُنكر, هذا نهي من النَّاظم رَحِمَهُ اللهُ, ينهى السُّنِّي أو ينهى من أراد الخير.

قال: ولا تُنْكِرَنْ: يعني لا تجحدن,جَهْلًا: يعني بسبب جهلك، والجهل هو عدم العلم بالشَّيء, يعني إذا كنت لا تعلم فلا تنكر.

نَكِيرًا ومُنْكَرًا.

نكير يعني الغير معروف, والمنكر أيضًا هو غير المعروف, وهذا هو اسم للملكين اللَّذين يأتيان الإنسان في قبره؛ كما جاء عند الترمذيِّ من حديث أبي هريرة كما سيأتي إن شاء الله.

قال: ولاالحَوضَ.

أيضًا هذا نهي من النَّاظم رَحِمَهُ اللهُ, يقول: لا تنكر الحوض.

والحوض: هو مجمع الماء. هذا في اللُّغة.

وأمَّا شرعًا: فهو الحوض الذي أوتيه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أرض المحشر.

قال: والمِيزَانَ.

أيضًا لا تنكر الميزان، والميزان هو الذي توزن به أعمال العباد، ويكون في عرصات القيامة.

إنَّكَ: أيُّها السُّنِّي أو أيُّها الموفَّق,إنَّكَ: ضمير عائد إليك أنت أيُّها السُّنِّي.

إِنَّكَ تُنْصَحُ: يعني تُنصح.

والنَّصيحة: هي إرادة الخير للغير.

فالنَّاظم ينصح لك، فيقول أنصحك ألا تنكر شيئًا منها.

قال: ولا تُنْكِرَنْ جَهْلًا نَكِيرًا ومُنْكَرًا.

ذكر في هذا البيت نكير ومنكر, ونكير ومنكر هما الملكان اللَّذان يأتيان الإنسان في قبره، فيسألانه من ربُّك؟ ما دينك؟ من هذا الرَّجل الذي بُعث فيكم؟

وقد جاء عند الترمذيِّ من حديث أبي هريرة وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا قُبِر الإنسان أتاه مَلَكَان أزرقان أسودانٍ يقال لأحدهما منكر والآخر نَّكيراً فيسألانه»,وقد جاء في الأحاديث:«إذا دخل الميتُ قبره أتاه مَلَكان ينتهرانه», فيُسأل في قبره.

فالنَّاظم يقول لا تنكر هذا؛ لأنَّه حق, وقد ثبت أنَّ الإنسان إذا قُبر فإنَّه يُسأل.

الثَّابت أنَّ الإنسان إذا قُبر يُسأل ، وهذا لا خلاف فيه.

وأيضًا يُثبَت الاسم للملكين، كما ثبت في الحديث.

ومنكر, يعني الذي لا يُعرف، كما لو أتاك رجل فقلت هذا الرَّجل منكر، يعني ما أعرفه, منكر يعني مجهول بالنِّسبة لي.

ولذلك قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلاَم قال: ﴿ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾[الذاريات: ٢٥]؛ يعني: لا يُعرفون.

فلا إشكال في هذه التَّسمية، فالمنكر هو الغير المعروف، والنَّكير يعني غير المعروف أيضًا.

وفتنة القبر ثابتة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، والأدلَّة من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى كثيرة:

منها: قوله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[إبراهيم: ٢٧].

جاء في الصحيحين من حديث البراء بن عازب أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر ذلك في فتنة القبر, فيثبَّت المؤمن فينطق بالحق ويُضَلُّ الظَّالم فتذهب عنه العلوم.

وقال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[التوبة: ١٠١]؛ يعني: عذاب في الدُّنيا، وعذاب في البرزخ، ثم يردُّون إلى عذاب يوم القيامة.

فهي ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: في الدُّنيا، وهو ما يصيبهم من النَّصب والتَّعب.

قال:﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾, مرَّة في الدُّنيا وهو ما يصيبهم من القتل والسبي ونحو ذلك, وهذه للمنافقين, يعني ما يصيبهم من إظهار المؤمنين عليهم ونحو ذلك, والمرَّة الأخرى في القبر, ما يصيبهم من الضَّنك ونحو ذلك.

ثم قال: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾, وهذا في الآخرة؛ لأنَّ عذاب الآخرة أعظم وأشد.

ولذلك قال الحسن البصري: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾؛ يعني عذاب الدُّنيا وعذاب القبر.

وقال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[غافر: ٤٦]؛ هذا في البرزخ, وهذا قاله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في آل فرعون, يعني أتباع فرعون,﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾؛ وهذا يكون قبل يوم القيامة, فهم يُعرضون في كل صباح ومساء على النَّار، ثم بعد ذلك يدخلون العذاب الأليم.

والأدلَّة من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ كثيرة.

وأمَّا السُّنَّة فالأدلَّة على ذلك كثيرة, بل إنَّه من المتواتر, ما يكون في القبر من المتواتر.

ومن ذلك ما جاء في الصحيح من حديث عائشة أنَّ يهوديَّة أتت إليها، فقالت أعاذكِ الله من عذاب القبر, فأخبرت عائشة رَضِي اللهُ عَنْهَا النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا يُفْتَنُ يَهُودُ».فبقي النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيَّامًا، فقال: «أَشَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟».

وجاء في حديث البراء بن عازب وهو من أجمع الأحاديث فيما يكون في الإنسان من حال الاحتضار وما يحصل عليه في القبر, حديث البراء الطَّويل: "أنَّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدُّنيا وإقبالٍ على الآخرة نزل إليه ملائكة بيض الوجوه، معهم شيء من الجنَّة ونحو ذلك، فيجلسون منه مدَّ البصر، فيأتيه ملك الموت، فيقول: يا أيَّتها النَّفس الطَّيبة كانت في البدن الطَّيب أو الجسد الطَّيب اخرجي إلى ربٍّ راض غير غضبان، قال: فتخرج منه كما تسيل القطرة من في السِّقاء". كما إذا كان معك شيء من السِّقاء طلَّبته كيف تخرج هذه القطرة.

قال: "فتخرج، فإذا أخذوها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يضعوها في ذلك الأكفان من الجنَّة", ونحو ذلك، والأطياب.

قال: "فيصعد بها إلى السَّماء، فيخرج لها كأحسن ريح وجد على وجه الأرض. فيقول الملائكة: ما هذا ما هذه الطِّيب الطَّيب؟ فيقال فلان ابن فلان بأطيب الأسماء التي كان يسمَّى بها في الدُّنيا. فتفتح له أبواب السَّماء، فيصعد به حتى يؤتى به في العلو, ثم يقول سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: أعيدوا روح عبدي إلى جسده أو اكتبوا كتاب عبدي في عليين, ثم ترجع الرُّوح إليه، ترجع الرُّوح إليه، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له من ربُّك؟ فيقول: ربِّي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: من هذا الرَّجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله، محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أتانا فآمنا به. فيقال له: قد كنَّا نعلم أنَّك صادق، فينادي منادي من السَّماء أن صدق عبدي فأفرشوا له من الجنَّة وافتحوا له بابًا من الجنَّة، فيأتيه من ريحها، وروحها، فيقول: ربِّ أقم السَّاعة أقم السَّاعة".

ثم ذكر العبد الفاجر أو الفاسق الفاجر أو الكافر. قال: "وإذا كان العبد الفاجر في انقطاع من الدُّنيا، وإقبال على الآخرة أتاه ملائكة سود الوجوه معهم المسوح من النَّار، فيجلسان منه مدَّ البصر. فيأتيه ملك الموت فيقول: يا أيَّتها النَّفس الخبيثة كانت في البدن الخبيث، اخرجي إلى غضب من الله، قال: فتتفرَّق في بدنه"، تخاف ما تخرج النَّفس.

قال: "فينتزعها كما ينتزع السَّفُّود إذا نزع من الصُّوف المبلول"، كما أنَّ الحديد المعكوف الرأس إذا وُضع في الصُّوف ثم نُزع يتقطَّع, كذلك تتقطَّع هذه النَّفس، تقطَّع معها العروق.

قال: "فيأخذون تلك النَّفس ما يدعونها في يد ملك الموت طرفة عين".

قال: "فيصعد بها إلى السَّماء فلا تفتَّح لها أبواب السَّماء"، كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[الأعراف: ٤٠].

"فيخرج لها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض. فيقول الملائكة: ما هذه الرِّيح الخبيثة؟ فيقال فلان ابن فلان بأسوأ الأسماء التي كان يسمَّى بها في الدُّنيا. فتطرح روحه طرحًا من السَّماء إلى الأرض"، كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج: ٣١].

"ثم تُردُّ إليه، فيأتيانه ملكان، فيقولان له: من ربُّك؟ فيقول: هاهاه لا أدري. فيقولان له: من ما دينك؟ فيقول: هاهاه لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرَّجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاهاه لا أدري".

كلمة "هاهاه" كأنَّها توجُّع، كأنَّ الرَّجل عنده علم ولكن ذهب عنه, وهي فيها ألم.

قال: "فينادي منادي من السَّماء أن كذب عبدي، فأفرشوه من النَّار، وافتحوا له بابًا إلى النَّار.

قال: "فيأتيه من حرِّها وسمومها، ثم يُضرب بمرزبَّة"، يعني قطعة من حديد لو ضرب بها جبل من الدُّنيا لتحطَّم.

قال: "فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثَّقلان".

وهذا الحديث صحيح, عند أبي داود صحَّحه ابن القيِّم والألباني، وهو من أجمع ما يكون في فتنة القبر.

والأحاديث في ذلك كثيرة, منها ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر وغيره من الأحاديث.

ففتنة القبر ثابتة.

وهناك فتنة وهناك عذاب أو نعيم,يوجد فرق بين الفتنة وبين ما يكون بعد الفتنة, فالفتنة هي الأسئلة الثَّلاثة, وهذه لكل من يُقبر على القول الرَّاجح والله أعلم، لكل من يُقبر, صغير أو كبير, ذكر أو أنثى, من هذه الأمَّة أو من الأمم الماضية, مؤمن أو كافر، هذا هو الصحيح، وهو الذي ذهب إليه كثير من المحققين, فهذه لكل أحد.

ويستثنى من ذلك الأنبياء، قيل: لأنَّ الأنبياء يسأل عنهم ولا يسألون، النَّبي يسأل عنه ولا يسأل.

ويستثنى من ذلك الشُّهداء؛ ولذلك لمَّا قيل للنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الشَّهيد قال: «كَفَىٰ بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَىٰ رَأْسِهِ فِتْنَةً»، يعني: صبر على فتنة الجهاد وقتال الكفار، كذلك لا يسأل في القبر.

ويستثنى أيضًا من مات مرابطًا في سبيل الله، يعني الذي يكون في جهة الكفار ويحمي ديار المسلمين من الكفار, فهذا إذا مات فهو يوقى عذاب القبر.

وأيضًا يستثنى الصِّدِّيقون على قول بعض العلماء والله أعلم.

وأمَّا الصِّغار فمن العلماء من قال لا يُسألون,لأنَّهم ليس عليهم تكليف.

والقول الأقرب والله أعلم: أنَّهم يُسألون.

والدَّليل: حديث أبي هريرة: أنَّه صلَّى على صغير وقال: "اللَّهم قِهِ عذاب القبر". وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام وابن القيِّم واستدلُّوا بهذا الأثر.

وأيضًا المجانين، من العلماء من قالوا لا يسألون لأنَّهم لا عقل لهم ولا تكليف عليهم.

والقول الأقرب والله أعلم: أنَّهم يسألون، فيجاوب بحسب ما يكون عليه يوم القيامة، إذا كان له نجاة يوم القيامة, وذلك أنَّ المجنون والذي في الفترة يسأل يوم القيامة, فإذا أجاب دخل الجنَّة وإذا عصى دخل النَّار.

وهذه الفتنة، فإذا أجاب الإنسان نعيم في القبر، وهو ثابت، وإذا لم يجب عُذِّب, وهذا يسمَّى نعيم القبرأوعذاب القبر.

والعذاب ينقسم إلى قسمين:

عذاب دائم وهو عذاب الكفار، وبعض العصاة الذين أسرفوا على أنفسهم؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى عن آل فرعون: أنَّهم يعرضون على النَّار غدوًّا وعشيًّا، هذا في كل يوم, منذ ذلك اليوم إلى يوم القيامة، حتى تقوم السَّاعة, وأيضًا بعض العصاة الذين أسرفوا على أنفسهم.

ولذلك جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ بقبرين فقال: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ»، ثم قال: «أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ».

القسم الثَّاني من عذاب القبر: هو العذاب المؤقَّت على بعض عصاة المسلمين.

فقد يعذَّب الإنسان بسبب معاصيه ثم يُغفر له ويتوقَّف عنه العذاب بسبب دعاء أو سبب حسنات له في الدُّنيا، أو بغير ذلك من الأسباب يتوقَّف عنه العذاب.

قال: ولا الحَوضَ.

أيضًا يقول لا تُنكر الحوض، والحوض: هو مجمع الماء الذي أوتيه النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عرصات القيامة.

وهذا الحوض وردت صفته في السُّنَّة, منها أنَّ طوله شهر وعرضه شهر وزواياه سواءً، وأنَّه أبيض من اللَّبن وأحلى من العسل وأطيب ريح من المسك, وكيزانه -يعني الأكواب التي عليه- كعدد نجوم السَّماء، وفي بعض الرِّوايات بل أكثر, ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا, ويرده من ورد سنَّة النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدُّنيا.

وهذا الحوض يكون في عرصات القيامة, والقول الأقرب والله أعلم: أنَّه قبل الميزان وقبل الصِّراط.

ولذلك يقول القرطبي: أنَّ النَّاس يخرجون من القبور عطشا, فكان مقتضى الحكمة أن يكون الماء أول ما يُلاقون.

وهذا الحوض يُطرد عنه أناس، وهم ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: المرتدُّون الذين ارتدوا عن الإسلام.

ولذلك يقال للنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُمْ لم يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ علىٰ أعْقابِهِمْ مُنْذُ فارقْتَهُمْ».

الصنف الثاني: المُحدِثُون, فمن أحدث بدعة وابتدع في دين الله فإنَّه من المطرودين عن حوض النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأشدُّ ذلك: الرَّافضة وغلاة الجهميَّة والمعتزلة وغيرهم من أهل البدع الذين أحدثوا.

ولذلك جاء في الحديث أيضًا في رواية أخرى قال: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

الصنف الثَّالث: بعض من أسرف على نفسه بالمعاصي.

ولذلك جاء عند النِّسائي أنَّه سيكون أمراء عندهم ظلم، فمن أعانهم على ظلمهم، وصدَّقهم على كذبهم, قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَنْ يَرِدَ عَلَيَّ الْحَوْضَ». وهذا الحديث صحَّحه غير واحد من العلماء، وجاء عن غير واحد من الصَّحابة.

فبعض العصاة قد يُردُّ عن الحوض، ولكن إذا ردَّ لا يخلد في النَّار إذا كان دون الكفر, كما هو مذهب أهل السُّنَّة.

قال: ولا الحَوضَ.

والحوض للنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثابت؛ولذلك جاء في صحيح مسلم في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر حوضه قال: «طوله شهر وعرضه شهر، ريحه أطيب من المسك وكيزانه كعدد نجوم السَّماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا».

والنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثابت أنَّ له حوض, وقد اختلف العلماء هل لكل نبيٍّ حوض أم أنَّه خاص بالنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والقول الأقرب والله أعلم: أنَّه لكل نبيٍّ حوض, للدَّليل والتَّعليل.

أمَّا الدَّليل: فقد جاء عند الترمذيِّ من حديث سمرة، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لكل نبيٍّ حوض». وهذا صحَّحه الألباني,وحسَّنه شارح الطَّحاويَّة ابن أبي العز.

وجاء عن ابن عباس أنَّه قال: "إنَّ أولياء الله يرِدُون على أحواض الأنبياء"، ذكرها ابن كثير في التَّفسير.

وجاء عن الحسن البصري وسنده صحيح ولكنَّه مرسل أنَّه قال: "لكل نبيٍّ حوض".

وأيضًا للتَّعليل؛ لأنَّ النَّاس الذين وردوا سنَّة الرُّسل في الدُّنيا يرِدون أحواضهم في الآخرة.

قال: ولا الميزانَ.

أيضًا لا تُنكر الميزان، والميزان: هو ما توزن به أعمال العباد.

والميزان ثابت بالكتاب والسُّنَّة والإجماع, والأدلَّة عليه من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى كثيرة.

منها قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾[الأنبياء: ٤٧].

وقال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[القارعة: ٦-٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[الأعراف: ٨-٩].

والأدلَّة من السُّنَّة كثيرة.

منها ما جاء في صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أنَّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ».

وجاء في صحيح مسلم من حديث أبي مالك أنَّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ».

والأدلَّة كثيرة من السُّنَّة.

وقد أجمع العلماء على ذلك.

والميزان يكون في عرصات القيامة، توزن به أعمال العباد, والمؤمن توزن حسناته وسيِّئاته, فإن رجحت الحسنات دخل الجنَّة, وإن رجحت السيِّئات ولو بسيِّئة واحدة قد يعُذِّب؛ كما جاء عن ابن مسعود في الأثر.

ولذلك يقول القرطبي: "ولو بصوبة"؛ يعني بشيء قليل, إذا رجحت السيِّئات دخل النَّار، فيُعذَّب على حسب ذنبه.

وقد ذكر شيخ الإسلام في الواسطيَّة أنَّ الكفار لا توزن أعمالهم؛ لأنَّه لا حسنات لهم.

والقول الثَّاني وهو اختيار ابن كثير والقرطبي: أنَّ الكفار توزن سيِّئاتهم أيضًا، يوزن لهم، وهذا لعلَّه أقرب والله أعلم.

ولذلك قالوا أنَّ الكافر يؤتى بالكفر فيوضع في كفَّة السيِّئات، ثم يؤتى فلا حسنات له,ويكون الجانب الذي للحسنات خالي، ويكون الآخر مظلم بسبب السيِّئات، ثم ترجح سيِّئاته فيدخل النَّار. وهذا هو الأقرب والله أعلم، وهو مقتضى العدل.

وقد دلَّت الآيات على ذلك, قال: ﴿مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾؛ يعني: بسبب الكفر أو المعاصي أو نحو ذلك.

وهذا الميزان له كفَّتان, وهذا ثابت بالإجماع أنَّ له كفَّتان, وأيضًا نقل الإجماع على أنَّ له لسان، واللِّسان هو الذي يكون في الميزان، نقل الإجماع على ذلك.

جاء عند البيهقي عن ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُ: أنَّه له كفَّتان وله لسان.

والميزان توزن به الأعمال ليظهر للإنسان عمله، ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى عالم بما فعل العباد، وهو لا يظلم أحد سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، ولكن ليظهر للنَّاس كمال عدل الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وهل الميزان واحد أم أنَّ الموازين متعدِّدة؟

اختلف العلماء في ذلك، قيل: أنَّ الميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال.

وقد جاء في الأثر عن سلمان رَضِي اللهُ عَنْهُ: "أنَّه يوضع الميزان، فلو وضع فيه السماوات والأرض لوسعه، فتقول الملائكة: سبحانك لمن هذا؟ فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: لمن شئت من خلقي". هذا الأثر صحَّ عن سلمان رَضِي اللهُ عَنْهُ وله حكم الرفع.

وهذا أقرب والله أعلم: أنه ميزان واحد ولكل الأمم، هذا هو أقرب الأقوال.

وقيل: لكل أمة ميزان. وهذا الذي رجحه ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ قال: هذا الذي يظهر لي, قال: أن لكل أمة ميزان.

قال رَحِمَهُ اللهُ: لأن الموازين ذكرت أنها متعددة, ولأن أعمال الأمم تختلف. فعندنا مثلًا الصلوات خمس, وعند بعض الأمم الله أعلم كم صلاة.

والقول الثالث: أن لكل عمل ميزان.

القول الرابع: أن الميزان واحد وفي هذه الموازين موازين صغيرة. كما ذكر البغوي نحو هذا الكلام.

والأقرب والله أعلم: أن الميزان واحد. والله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى على كل شيء قدير, وتوزن فيه جميع أعمال العباد؛ كما جاء في الأثر عن سلمان رَضِي اللهُ عَنْهُ.

ما هو الذي يُوزَن؟

فيه خلاف أيضا, قيل: يوزن صحائف الأعمال. وهذا اختيار القرطبي.

وقيل: أن الذي يوزن هو العامل نفسه.

وقيل: أن الذي يوزن هو العمل.

والقول الأقرب والله أعلم: أن هذه توزن تارة, وهذه توزن تارة, وهذه توزن تارة. كما قال ابن كثير.

وقد دلت الأدلة على ذلك.

فأما وزن الصحائف فقد جاء عند الترمذي صححه الحاكم ووافقه الذهبي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: "أنه يُنشر لعبد تسع تسعة وتسعين سجل,كل سجل مد البصر, فيقال له: هل تُنكر من هذا الشيء؟ هل ظلمك كتبتي؟ فيقول: لا يا رب. فيقال

له هل لك حسنة؟ فيقول: لا يا رب. فيقال له: بلى إن لك حسنة، لا ظلم عليك اليوم, فتخرج له بطاقة, في هذه البطاقة لا إله إلا الله. فيقول العبد:يا ربِّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: أحضر لوزنك فإنه لا ظلم عليك اليوم. قال: فتوضع السجلات في كفة ولا إله إلا الله في كفة, قال: فطاشت السجلات ولا يثقل مع اسم الله عَزَّ وَجَلَّ شيء".

وهذا قال عنه البخاري أنه عبد تاب وقال هذه الكلمة عند آخر حياته, كان تائبًا صادقًا ثم مات على لا إله إلا الله. وافقه ابن باز رَحِمَهُ اللهُ.

فليست لكل أحد, بل هي لأناس والله أعلم؛ ولذلك كثير من المسلمين يقول لا إله إلا الله ولكنه قد يدخل النار بسبب ذنوبه إلى ما شاء الله عَزَّ وَجَلَّ ثم يخرج بعد ذلك -كما سيأتي إن شاء الله-.

أيضا يوزن العامل نفسه, العامل يوزن.

والدليل: حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«يؤتىٰ بالرجل السمين الكبير لا يزن عند الله جناح بعوضة».

كما قال أبو هريرة: "اقرأوا إن شئتم فلا نُقِيم لهم يوم القيامة وزنًا".

وجاء عند أحمد عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه صعد يومًا يجتني ثمر الأراك, وكان رضي الله عنه دقيق الساقين, فقالت الريح بساقيه فبانتا, فضحك القوم, فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مما تضحكون؟». قالوا يا رسول الله من دقة ساقيه. قال:«إنهما في الميزان أثقل من أُحد».

وأيضا يوزن العمل نفسه.

ومن الأدلة على ذلك كثيرة منها ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة –المتقدم-:«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ»؛ يعني هذا العمل نفسه.

وجاء في السنن من حديث أبي الدرداء أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ العبدِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ».

وغيره من الأدلة.

ولذلك هذا اختيار ابن كثير أن هذا يوزن, وهذا يوزن, وهو اختيار غير واحد من العلماء.

قال: والمِيزَانَ إنَّكَ تُنْصَحُ.

يعني أن الناظم رَحِمَهُ اللهُ ينصح لك.

والنصيحة: هي إرادة الخير للغير.

ولا شك نحسبه أنه ناصح لأنه ذكر هذه العقيدة التي على مذهب أهل السنة والجماعة.

قال:

وقل يُخرِجُ اللهُ العظيمُ بفضلِهِ مِنَ النَّارِ أجسادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ



ثم ذكر الناظم رَحِمَهُ اللهُ أن من المسلمين من يدخل النار ثم يخرج بسبب توحيده.

قال: وقل: يعني أيها السني وأيها المعتقد الاعتقاد الصحيح, وقل معتقدًا ذلك بقلبك ناطقًا بلسانك.

يُخرِجُ اللهُ. فالمخرج هو الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

يُخرِجُ اللهُ العظيمُ. العظيم في ذاته سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وفي صفاته وفي أفعاله.

بفضلِهِ: يعني بمحض فضله وليس بسبب شيء من العباد, بل هو بفضله سبحانه.

مِنَ النَّارِ أجسادًا: يعني أبدانًا, مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ.

مِنَ الفَحْمِ: يعني قد أفحمت وأصبحت كالفحم, تُطْرَحُ.

على النَّهْرِ في الفِرْدَوسِ.

على النَّهْرِ: يعني على النهر عند الفردوس، في الفِرْدَوسِ: يعني عند جنة الفردوس.

تَحْيَا بمائِهِ: يعني تحيا بهذا الماء, وذلك أنه يُصب هذا الماء عليها فتحيا تنبت كما تنبت البذر عند جانب الماء.

قال:كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إذجَاءَ يَطْفَحُ.أي: كالحبة التي يحملها السيل ثم تقع في هذا المكان فتنبت.

هذا الموضع ذكر فيه الناظم رَحِمَهُ اللهُ من يخرج من النار, ومعتقد أهل السنة والجماعة أن من المسلمين من يدخل النار بسبب ذنوبه, ثم إنه لا يخلد في النار بسبب توحيده, بل يُخرج من النار.

والأدلة على ذلك كثيرة.

منها قوله تعالى:﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾[الحجر: ٢]. قيل في تفسير الآية: أنه لما يدخل الكفار النار يدخل بعض العصاة معهم في النار. فيقول الكفار لهم: إنكم كنتم تقولون أنَّا على حق في الدنيا فكيف دخلتم النار؟ فيغضب الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده فيُخرجهم من النار, فيود هؤلاء الكفار لو كانوا على الإسلام حتى يخرجوا بسبب التوحيد.

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول للملائكة:«أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان٬ يعرفونهم بآثار السجود٬ فيُخرجونهم من النَّار».

وجاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَىٰ النَّارِ».

وأيضا جاء في الصحيح من حديث أبي سعيد: أن أناس من المسلمين يدخلون النار بسبب ذنوبهم. قال:«فَيُمِيتُهُمُ اللهُ إِمَاتَةً، حَتَّىٰ إِذَا صَارُوا فَحْمًا، أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ يُلْقَوْنَ عَلَىٰ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ».

ولذلك قال:

وقـل يُخـرِجُ اللهُ العظـيـمُ بفضـلِهِ مِـنَ النَّارِ أجسادًا مِـنَ الفَحْـمِ تُطْـرَحُ

على النَّهْرِ في الفِرْدَوسِ تَحْيَا بمائِهِ, وهي تنبُت إذا أخرجوا من النار وُضعوا على ماء,فيُصب عليهم ماء من الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل, فإذا استووا دخلوا الجنة.

قال:كَحَبِّ: يعني كالحبة.

حَمِيلِ السَّيْلِ: يعني الحبة التي يحملها السيل.

إذجَاءَ يَطْفَحُ.

السيل إذا جاء يمشي يحمل معه الأعواد ويحمل معه الحبوب ويحمل غير ذلك, فقد يحمل حبة ثم يقذف بهذه الحبة إلى مكان فتنبُت, فهم ينبتون إذا وضع عليهم الماء كهذه الحبة.

ولذلك عقيدة أهل السنة أن عصاة المسلمين إذا دخلوا النار لا يخلدون فيها, ولكن يُحذر من دخول النار ولو لحظة ولو غمسة, لأن عذاب النار ليس بالأمر السهل.

ولذلك بعض الناس إذا قيل له إنه لا يخلد مسلم في النار سهُل عليه الأمر, يعني يسهُل عليه الأمر, وهذا غير صحيح.

ولذلك جاء في الصحيحين أن رجل من أَنعم أهل الأرض, رجل أُنعم عليه أنواع النعم في الأرض, من أَنعم أهل الأرض, يُغمس في النار غمسة, كما أنك تأخذ الخبزة فتغمسها في الأُدم هكذا يُوضع به في النار. فيقال له: هل رأيت خيرا قط؟ فيقول لا. نسي ما مضى من النعيم بسبب غمسة. فكيف الذي يبقى يوم أو أكثر؟!

ولذلك قد يبقى الإنسان في النار شهر, وقد يبقى سنة, وقد يبقى مائة سنة, وقد يبقى ألف سنة, الله أعلم.

ولذلك يحذر الإنسان من هذا الشيء أن يدخل النار ولو لحظة, فيكون على حذر عظيم.

ولكن مع هذا لا يخلد في النار إلا من كفر بالله وأشرك به, وأما من وحَّد الله عَزَّ وَجَلَّ فهو لا يخلد في النار.

ولذلك جاء في الصحيح من حديث ابن مسعود: "أن آخر رجل يخرج من النار, ولا يبقى في النار إلا من أشرك وكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ".

ولذلك إذا خرج الموحدون أُطبقت النار وأُغلقت عليهم ثم لا يخرج منها أحد.

وقد جاء في بعض الآثار أن أبواب النار التي يدخلها من دخل بسبب المعاصي من المسلمين أنها يأتي عليها يوم من الأيام تخفق ليس فيها أحد, قد خرجوا جميعا إلى الجنة, وأما الكفار فلا يخرجون.

وقد جاء في ثلاثة مواضع في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى خلود الكفار خلودا أبديًا في سورة النساء؛ قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[النساء: ١٦٨-١٦٩].

وفي سورة الجن قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[الجن: ٢٣].

وقال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في الأحزاب:﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[الأحزاب: ٦٤-٦٥].

فذُكر في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ الخلود في النار للكفار في ثلاثة مواضع؛ ولذلك قال بعض العلماء: لا رابع لهن.

قال الناظم:

وإنَّ رســولَ اللهِ للخَلْــقِ شَــافِعٌ وقُـلْ في عـذابِ القبرِ حـقٌ مُوَضَّـحُ



ثم ذكر الناظم رَحِمَهُ اللهُ في هذا البيت ما يتعلق بشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما يتعلق بعذاب القبر, لأنه ما تقدم ذِكر فتنة القبر, وهنا عذاب القبر ونحوه.

قال: وإنَّ رسولَ اللهِ.

وإنَّ رسولَ اللهِ: يعني محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

للخَلْقِ: يعني للناس. والخلق قد يُطلق ويراد به جميع المخلوقات, وقد يراد به الناس.

شَافِعٌ: يعني يشفع. وهذه الشفاعة العظمى. وسيأتينا إن شاء الله كم له من الشفاعات عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ وأنواع الشفاعات.

وقُل: يعني أيها السني ويا مريد الحق، وقُلْ في عذابِ القبرِ: يعني العذاب الذي يقاسيه من قُدِّر عليه عذاب القبر.

القبرِ حقٌّ: يعني ثابت لا مرية فيه,مُوَضَّحُ: يعني واضح وبيِّن في الكتاب والسنة.

قال: وإنَّ رسولَ اللهِ للخَلْقِ شَافِعٌ.

الشفاعة شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, ومسألة الشفاعة من المسائل العظيمة.

ولذلك قيل: أن الشفاعة قد يقع في الخطأ يعني بعض الناس, قد يظن أن هذا يشفع له ويُخطئ في هذا الشيء.

وذلك أن الشفاعة تنقسم إلى قسمين:

شفاعة باطلة منفية, وهي ما كانت شرك أو كانت لمشرك, فإذا كانت الشفاعة مبنية على الشرك فهي باطلة وهي مردودة, وهي ما كان يظنه المشركون.

فالمشركون كانوا يتعبدون لغير الله حبًّا وتعظيمًا كحب الله وتعظيم الله, ثم بعد ذلك يزعمون أن هذه المعبودات الباطلة تشفع لهم عند الله قطعًا من غير أن يأذن الله عَزَّ وَجَلَّ, وقد أبطل الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى هذا الشيء, فهم تعبدوا لغير الله لتشفع لهم هذه الآلهة الباطلة عند الله, فهم وقعوا في أمرين:

- الأمر الأول: صرف العبادة لغير الله.

- الأمر الثاني: الكذب على الله.

فهم عبدوا غير الله وكذبوا على الله؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾؛ يعني: يتولونهم,﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾؛ يعني: نتذلل ونخضع لهم,﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:٣]؛ يعني: كاذب في أنه يقول أنها تشفع له عند الله.

وهذه شفاعة باطلة وهي الشرك.

الثاني من الشفاعات: الشفاعة لمشرك, فهذه لا تقع, لا تقع الشفاعة للمشرك؛ كما قال تعالى عن الكفار: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[المدثر:٤٨]. ما تنفعهم, لا نفع لهم فيها.

فهذه منفية.

وقال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾[البقرة:٢٥٤]. "وَلَا شَفَاعَةٌ", هذه الشفاعة المنفية.

القسم الثاني من الشفاعات: الشفاعة المثبتة. وهي على أقسام:

منها: ما هو خاص بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنها: ما هو عام.

وهي على البسط ثمانية أنواع, وعلى الاختصار في بعض المواضع ستة أنواع, ولعلنا نأخذ يعني الأقسام الستة:

الأول: الشفاعة لأهل الموقف أن يُقضى بينهم. وهذه ثابتة وهي للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وهي من خصائصه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ. كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ ذكر الشفاعة, كان على طعام وكان يأكل منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ ثم ذكر الشفاعة, قال:"فيأتون آدم، ثم يأتون نوح، ثم يأتون إبراهيم، ثم يأتون موسى، ثم يأتون عيسى، ثم يأتون إليَّ"؛ يعني إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فيشفع عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ.

القسم الثاني: شفاعته لأهل الجنة أن يدخلوها. وهذا من خصائص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كما جاء أنه قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ: «وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ».

جاء في حديث أنس أنه قال:«آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: يَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ». فيشفع في الجنة ليدخل أهل الجنة. وهذه من خصائصه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ.

الثالث: شفاعته لعمه أبي طالب. وهذه خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخاصة بأبي طالب لأنه مشرك. وهذه الشفاعة في تخفيف العذاب لا الإخراج من العذاب.

ولذلك جاء في الصحيح من حديث العباس أنه قال: "إن أبا طالب كان يغضب لك -يقوله للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهل نفعته بشيء؟ قال: « نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ». الضحضاح: يعني المكان الذي يكون فيه شيء من الماء في أرض يعني صلبة وفيها شيء من الماء. هذا يسمى ضحضاح, «فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

فبسبب شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُفف عنه من العذاب, وهو أهون أهل النار عذابًا ويظن أنه أشد أهل النار عذابًا.

ولذلك جاء في الصحيح أن أبا طالب يُوضع في رجليه جمرتان يغلي منهما دماغه, يظن أنه أشد أهل النار عذابًا, من شدة حرارة هاتين الجمرتين يغلي الدماغ, يعني يفور الدماغ بسبب هذه الحرارة, ويظن أنه أشد أهل النار عذابًا وهو أهون أهل النار عذابًا. فكيف بمن هو أشد؟!-نسأل الله العافية-.

القسم الرابع: ما هو عام للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره. وهي الشفاعة لمن استحق النار ألا يدخلها.

وقد دل على ذلك ما جاء عند الترمذي وصححه شيخ الإسلام والألباني من حديث أنس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي».

القسم الخامس: الشفاعة لمن دخل النار أن يخرج منها. وهذه ثابتة في الأحاديث الصحيحة.

منها حديث أبي سعيد المتقدم أنه يقال للمؤمنين: «اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ، فَيَأْتُونَهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ».

وهذه والتي قبلها يُنكرها الجهمية والخوارج, الخوارج والجهمية ينكرون الشفاعة لمن أُمر به إلى النار ألا يدخلها، ينكرون هذا, وينكرون من دخل النار أن يخرج منها, ينكرون هذه الشفاعة.

واستدلوا بأدلة:

منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾[آل عمران: ١٩٢], يقولون: من أُدخل النار فقد أُخزي ما يمكن أن يخرج منه.

وهذه الآية الكريمة في الكفار وليست في الموحدين.

ولذلك هم -يعني الخوارج- يأتون بالآيات والنصوص التي على الكفار فيجعلونها على المسلمين. كما قال ابن عمر رَضِي اللهُ عَنْهُ: "أتوا إلى ما ذُكر في الكفار فجعلوه على المسلمين". فهم يجعلون ما ورد من النصوص في الكفار يجعلونها على المسلمين.

ولذلك هم يستدلون أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾, يقولون أيَّ معصية حتى لو شرب الخمر أو زنى، يقولون إنه يخلد في النار لأنه عصى, ولكن أهل السنة يقولون هذه في الكفار.

لأن أهل السنة يجمعون بين النصوص, وأما الخوارج أخذوا بجانب الوعيد, كما أن المرجئة كما سيأتينا يأخذون بجانب الوعد, وأهل السنة توسطوا, أخذوا بجانب الوعد والوعيد, فقالوا قد يدخل النار ولكن لا يخلد فيها بسبب توحيده.

القسم السادس في الشفاعة لبعض المؤمنين: أن تُرفع درجاتهم في الجنة. كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأبي سلمة: «اللَّهُمَّ ارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ».

وقد يُستأنس بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾؛ يعني: ألحقناهم بهم في المنازل, ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾؛ يعني: نقصناهم, ﴿مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[الطور: ٢١]؛ يعني محتبس بعمله.

أيضا زاد بعض العلماء قسم سابع وهي: الشفاعة للسبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفع فيقول:«يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْأَبْوَابِ».

أيضا زيد الثامن: وهو الشفاعة لأهل الأعراف الذين تساوت سيئاتهم وحسناتهم, فيشفع فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيدخلون الجنة.

هذه الأنواع من الشفاعات حق,وهذه الشفاعة لا تثبت إلا بشرطين:

الشرط الأول: الإذن؛ بحيث أن يأذن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى للشافع أن يشفع.

الشرط الثاني: الرضا عن الشافع والمشفوع له؛ بحيث يكون المشفوع له من أهل التوحيد.

كما جاء في حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ».

وقد انقسم الناس في شأن الشفاعة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من أثبت الشفاعة بشرطيْها، وهم أهل السنة, فقالوا تثبُت ولكن بإذن الله ورضاه.

القسم الثاني: من أنكر الشفاعة, كالخوارج والمعتزلة, لأنهم قالوا من دخل النار لا يخرج منها فكيف يُشفع له؟!

القسم الثالث: من غلا في الشفاعة فأثبتها للأصنام والقبور وطلبها من غير الله, كعُباد القبور فيأتون إلى القبور فيقولون يا فلان اشفع لي، فيسألون غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله, وهذه شفاعة باطلة وهذا من الشرك .

ثم قال الناظم:

ولا تُكفِرَنْ أهلَ الصَّلاةِ وإن عَصَوا   فكُلُّهمُ يَعصِي- وذو العرشِ يَصفَحُ

ولا تعتَقِــدْ رَأيَ الخَــوارِجِ إنَّــه مقـالٌ لمـن يَهْـواه يُـرْدِي ويَفْضَـحُ
ولا تَــكُ مُرجِيًّــا لَعُوبًــا بِدِينِـه ألاإنَّــما المُرْجِــيُّ بالــدينِ يَمْــزَحُ



ثم انتقل الناظم رَحِمَهُ اللهُ إلى مسائل في العقيدة, قال: ولا تُكفِرَنْ أهلَ الصَّلاةِ.

ولا تُكفِرَنْ: يعني لا تقُل عن أهل الصلاة الذين يصلون أنهم كفار.

ولا تُكفِرَنْ أهلَ الصَّلاةِ وإن عَصَوا: يعني وإن وقعوا في المعاصي، فالإنسان إذا كان يشهد أن لا إله إلا الله ويصلي فلا يجوز أن يُكفَّر مهما فعل من المعاصي, لو بقي سبعين سنة يشرب الخمر أو يزني أو يقتل ما يجوز لك أن تُكفره, لأنه وقع في معصية دون الكفر.

ولذلك الناظم ينصح لك يقول:ولا تُكفِرَنْ أهلَ الصَّلاةِ وإن عَصَوا: يعني وإن وقع منهم المعاصي, بل ولو أسرفوا, ولو وقع الإنسان فيما وقع من المعاصي دون الكفر فلا تُكفره ولا تقُل عنه كفر.

وإن عَصَوا ...فكُلُّهمُ يَعصِي: يعني أن من شأن الإنسان أنه يعصي.

ولذلك لو فتش الإنسان نفسه لوجد أن عنده تقصير ومعاصي.

ولذلك جاء في السنن من حديث أنس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».

وفي صحيح مسلم قال «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

ولذلك الإنسان لو فتش في نفسه لوجد عنده شيء من المعاصي، إما كِبر, وإما ازدراء للناس, وإما كذب, وإما نظر إلى حرام, وإما تقصير في صلاة, وإما وقع في تقصير في بر الوالدين, وإما إخلاف للوعد, وإما غير ذلك من المعاصي.

ولذلك لو فتش الإنسان نفسه لوجد عنده شيء من المعاصي؛ ولذلك الإنسان, عليه أن يتوب.

قال:فكُلُّهمُ يَعصِي: يعني يقع في الزلل، والمعصية: هي مخالفة المراد، مخالفة المراد فعلًا للمحذور وتركا للمأمور. هذه المعصية.

وذو العرشِ: يعني صاحب العرش وهو الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, يَصفَحُ: يعني يتجاوز ويغفر.

فلو أنه أخذنا بسبب ذنوبنا ما بقي منا أحد, ولكنه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يتجاوز ويعفو ويصفح.

ولا تعتَقِدْ: يعني لا يقع في قلبك عقيدة، والعقيدة: هو أن يعقد الإنسان قلبه على شيء، فإن كان حق فهو حق وإن كان باطل فهو باطل.

فالإنسان قد يعتقد ولكن يكون هذا عقيدة باطلة؛ بحيث يكون في قلبه عقيدة, يعقد قلبه على هذه العقيدة ما يتزحزح عنها.

ولذلك عبد الرحمن بن أبي ملجم الذي قَتل علي رَضِي اللهُ عَنْهُ كان عنده عقيدة عظيمة, لما قتل علي رَضِي اللهُ عَنْهُ وأُتي به فعُذِّب فلما أرادوا أن يقطعوا لسانه بكى, قيل: لِمَا؟ قال: أخاف أن يُقطع لساني فلا أذكر الله.فعنده عقيدة.

ولذلك لما قاتل الخوارج علي رَضِي اللهُ عَنْهُ كان أحدهم يرفع القرآن ويقول:"عباد الله, يا إخواني اصبروا فالجنة أمامكم". يُقاتلون علي ويريدون الجنة!-نسأل الله العافية-.

لذلك العقيدة قد يعقد الإنسان قلبه على شيء باطل.

والمؤلف يقول:ولا تعتَقِدْ رَأيَ الخَوارِجِ: يعني عقيدة الخوارج,إنَّه: يعني اعتقادهم,مقالٌ لمن يَهْواه: يعني في قلبه ميل وزيغ.

وذلك أن فعل الخوارج هوى, وهو ميل يعني يميل الإنسان إلى مراده, وجميع البدع بسبب الهوى, البدعة تقع بسبب الهوى وما يكون في القلب.

ولذلك يقول:مقالٌ لمن يَهْواه يُرْدِي.

يُرْدِي: يعني يُقلل الإنسان ويُرديه ويوقعه في الردى,ويَفْضَحُ: يعني يُظهر سوءة الإنسان.

ورأي الخوارج هو أن مرتكب الكبيرة كافر حلال الدم حلال المال. هذا رأي الخوارج, فمن زنى فهو كافر, من شرب الخمر فهو كافر, من قتل فهو كافر. هذا عندهم.

وسُموا خوارج لأنهم خرجوا على علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والخوارج أنواع:

من الخوارج الذين يخرجون على الإمام, هؤلاء خوارج يخرجون على الإمام بغير تأويل سائغ, فيخرجون عليه، فهؤلاء يسمون خوارج لأنهم خرجوا عن طاعة السلطان التي أمر بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بالسمع والطاعة وألا ينازع الأمر أهله.

ولذلك أول ما أخذ العهد على الصحابة ألا ينازعوا الأمر أهله, فإذا كان للناس إمام فنازع فقد عصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر ألا ينازع الإمام, فمن نازع الإمام فقد عصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, ووقع في مخالفة أول عهد أخذه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته.

ولذلك يقول عبادة بن الصامت: "وأخذ علينا ألا ننازع الأمر أهله, إلا -الاستثناء- أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان".

فإذا كان كفر وهذا الكفر بواح يعني ظاهر للناس وعندنا فيه دليل فهنا يكون شيء آخر, أما ما دام أن الإنسان على الإسلام ولو حصل منه ما حصل من التقصير فلا يجوز أن ينازع.

ولذلك يقول النووي: "أجمع العلماء على أن الذي يخرج على الإمام عاصي".

نُقل الإجماع إجماع من العلماء أن من يخرج على السلطان فهو عاصي، إن كان بسبب الفسوق, فالإمام مهما حصل منه من تقصير أو ظلم أو غير ذلك فلا يُخرَج عليه.

والخوارج منهم من يخرج باللسان ومنهم من يخرج بالسيف, منهم من يخرج باللسان وهؤلاء يسمون القعَّدية, وهم الذين يبقون في بيوتهم ويؤنبون على السلطان، يشحنون

قلوب الناس فيقولون حصل كذا والإمام منه كذا, فيتتبعون عثرات الإمام ويوصلونها إلى الناس حتى تغلوا الصدور فيخرج الناس، وهذا مقدمة للثاني.

ولذلك الناس ما يخرجون حتى يكون في القلب شيء, ما يخرجون على الإمام حتى يكون في القلب شيء.

الثاني: الخوارج بالسيف، وهؤلاء الذين يخرجون بالسيف, وهذا يكون بسبب الذي قبله.

ولذلك غيبة السلطان أعظم من غيبة عامة الناس، وغيبة العالم أعظم من غيبة عامة الناس؛ لأن غيبة الإمام سبب للخروج عليه ووقوع المعاصي الكثيرة, وغيبة العالم سبب لئلا يُؤخذ منه العلم فتضيع الشريعة, وأما عامة الناس فدون ذلك.

فيقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

ولا تعتَقِدْ رَأيَ الخَوارِجِ: احذر أن تكون من الخوارج، إنَّه ...مقالٌ: يعني مقالة ورأي الخوارج,لمن يَهْواه: يعني لمن يميل إليه، يُرْدِي ويَفْضَحُ: يعني يردي الإنسان ويفضحه ويخالف سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والخوارج لهم علامات:

منها: أنهم يستدلون بما جاء في الكفار على المسلمين, يأتون إلى الآيات والنصوص التي ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى وذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكفار فيجعلونها على المسلمين, فيستدلون بالكتاب والسنة مما جاء في شأن الكفار على المسلمين.

ومن علاماتهم: أنهم يُحسنون القول، فتجد أن عندهم فصاحة وإحسان للقول؛ كما جاء في الحديث يقولون "من قول خير البرية".

ومنها: أنهم ضعفاء العقول, ففيهم ضعف في العقل وطيش وتسرع, فلا يكون عندهم حكمة؛ فلذلك يكون فيهم شيء من الطيش وضعف العقول وتسرع.

ومنها: أنهم صغار السن, فتجد أنهم صغار في الثامنة عشر والسابعة عشر، صغار، لا يعرفون, يُكفِّرون من شاب في الإسلام وبلغ مدة من الزمن في الإسلام وهو للتو بلغ.

ومنها: الإكثار من العبادة, وهذا قد يكون عند المتأخرين خلاف ذلك، فتجد أن عند بعض المتأخرين معاصي وقلة عبادة, أما من تقدم فتجد أن عندهم عبادة يُكثرون من العبادة.

ومنها: أنهم عندهم هوى, ولذلك إذا نصح أحدهم ما يقبل لأن في قلبه هوى, إلا أن يشاء الله عَزَّ وَجَلَّ أن يهديه.

ولذلك لما قيل لبعض السلف أرأيت أن فلان ترك رأيه يعني من الخوارج؟ قال: "انظر إلى ما يكون-يعني يتحول-إن أول الحديث أشد عليهم من آخره".

ولكن إذا تاب الإنسان وبصَّره الله عَزَّ وَجَلَّ في الدين فإنه يصح ويصلح.

ولذلك يقول شيخ الإسلام أنه كثير من أهل البدع تاب وحسُن إسلامه وحسُنت توبته, بل قد يكون من الدعاة إلى الله وممن يُحذر منهم.

ولذلك الأشعري أبو الحسن الأشعري كان معتزليًّا في أول سنِّه وبقي على الاعتزال أربعين سنة يقرر الاعتزال, ثم تبين له بعد ذلك أن هذه العقيدة باطلة, ثم حذر منه وأصبح من الدعاة إلى التوحيد وإلى السنة؛ فلذلك يقول الناظم: احذر.

قال:ولا تَكُ: يعني لا تكن.

أيضًا يقول احذر أن تكون خارجيًّا, وأيضا احذر أن تكون من المرجئة.

فالناظم يقول لك احذر أن تكون خارجيًّا واحذر أن تكون من المرجئة, يعني توسط؛ وذلك أن الشيطان يريد من الإنسان إما أن يغلو وإما أن يجفو.

كما قال بعض السلف: أن الشيطان يفرح بأحد الأمرين، إما أن يكون غالي في الدين وإما أن يكون مفرط على معاصي وذنوب ويظن أنه على خير.

ولذلك قال:ولا تَكُ مُرجِيًّا: والمرجئة هم قوم أخَّروا العمل عن مسمى الإيمان، فقالوا لا يضر مع الإيمان معصية, فلو أن الإنسان قال "لا إله إلا الله" فلو وقع ما وقع منه من المعاصي فليس عليه شيء.

وهذا كلام باطل, لأن المعاصي مؤثرة, بل مفسِّقة للإنسان, بل قد يدخل النار بسببها كما تقدم, بل أنه قد يكون على خطر عظيم, بل قد توصله إلى الكفر, المعاصي قد توصل الإنسان إلى الكفر, وهي بريد الكفر كما قال العلماء.

قال: ولا تَكُ مُرجِيًّا لَعُوبًا: يعني متلاعب بدينه.

لَعُوبًا بِدِينِه: يعني تلعب بالدين، الدين ليس لعبة، ليس لعبة للإنسان يلعب به، يقول مثلًا قل "لا إله إلا الله" وافعل ما شئت من الذنوب والمعاصي.

هذا كلام باطل, بل إن الإنسان عليه أن يحذر ويكون على حذر ويفعل الطاعات وينتهي عن المعاصي.

المرجئة هم الذين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب, وهم على أقسام ثلاثة -كما سيأتينا إن شاء الله-.

ألا إنَّما المُرْجِيُّ. "ألا" أداة تنبيه.

ألا إنَّما المُرْجِيُّ بالدينِ يَمْزَحُ: يعني يلعب يتلاعب بالدين, الدين ليس لعبة لهذا المرجى الذي يريد أن يفعل ما شاء ويظن أنه على خير عظيم, وهذا من حسن تأليف الناظم رَحِمَهُ اللهُ, لأنه حذر من الغلو ثم حذر من الجفاء.

ودين الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى بين الغالي والجافي, لا تكن غالي فتُكفر المسلم بالمعصية, ولا تكن لعوبًا بدينه, تظن أنك إذا قلت "لا إله إلا الله" وفعلت ما فعلت فأنت على خير.

والمرجئة هم قوم قالوا إذا قال الإنسان "لا إله إلا الله" فلا تضره المعصية, وهم على أقسام ثلاثة:

القسم الأول: منهم من قال: أن الإيمان مجرد المعرفة, لو أن الإنسان عرف الله بقلبه فهذا على خير عظيم ولا يضره أي شيء وإيمانه كإيمان جبريل, وهؤلاء عندهم فرعون مؤمن كامل الإيمان, وعندهم إبليس كامل الإيمان.

والدليل أن إبليس يعرف ربه, ولكنه ما آمن, فهم عندهم أن إبليس على الإيمان, بل هو مثل جبريل في الإيمان.

القسم الثاني: من قالوا: أن الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان دون عمل الجوارح, يعني لو قال: "لا إله إلا الله" واعتقد بقلبه فهذا مؤمن كامل الإيمان ولو لم يعمل خيرًا قط, ولو أفسد في الدنيا فهو مثل جبريل في الإيمان, وهذا كلام باطل.

القسم الثالث: من قال أن الإيمان مجرد النطق, إذا قال "لا إله إلا الله" فهذا مؤمن ولو لم يعتقد بقلبه, وهؤلاء عندهم أن أهل النفاق على الإيمان, يقولون: أن المنافقين مؤمنون كاملي الإيمان.

والإرجاء هو أن يعتقد الإنسان أن المعاصي وترك الطاعات لا تؤثر على التوحيد ولا تؤثر على الدين, وهذا كلام باطل, ومعتقد أهل السنة والجماعة أن المؤمن العاصي يسمى مؤمن بإيمانه وفاسق بكبيرته, يقال عنه فاسق, ويُحب من وجهه لإيمانه ويُبغض من وجهه لفسقه.

وأيضًا هذا الرجل قد يدخل النار بسبب ذنوبه, وأيضًا هذا الرجل لا يكون مثل من آمن بالله وعمل الصالحات وترك المعاصي, بل إن إيمانه ناقص.

كما جاء في الحديث: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةً مِنْ إِيمَانٍ», فدل على أن الإيمان ينقص كما سيأتينا إن شاء الله أن الإيمان قد يزيد وقد ينقص.

فالمعاصي تنقص الإيمان, بل قد يضعف الإيمان حتى يصبح ضئيل يُخشى عليه من الخروج منه بسبب الإسراف على نفسه.

ولذلك المعاصي بريد الكفر, فقد يعصي الإنسان ثم يعصي ثم يعصي ثم يعصي ثم يُطبع على قلبه فيكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ويموت على الكفر, كما ذُكر عن بعضهم أنه كفر عند آخر حياته بسبب المعاصي.

ولذلك ذكر القرطبي أن رجلًا أسرف على نفسه بشرب الخمر, كان كثير شرب الخمر, وكان يديم شرب الخمر, فلما حضرته الوفاة قيل له: قل "لا إله إلا الله", فقال: أنا كافر بها, فمات على ذلك بسبب الذنوب.

وذكر ابن القيم أن رجلًا خرج في البحث عن امرأة يريد أن يقع معها في المعصية فأدركه الموت, فقيل له: قل "لا إله إلا الله", فبدأ يُنشد ويذكر محاسن هذه المرأة ومات على ذلك.

فالمعاصي خطيرة, قد توصل إلى الكفر, وقد توصل الإنسان أن يموت على معصية, يعني هي ليست بالأمر الهين.

ولذلك من اعتقد أن الله لا يُعذب على المعاصي فهذا قد كذَّب النصوص.

ولذلك أخبرنا الله عَزَّ وَجَلَّ أنه قد يُعذب بسبب بعض المعاصي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[النساء: ١٠].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أنه رأى العصاة الذين يقعون في الزنا في مثل التنور, قال: ضيق وتحته واسع, وكان يأتيهم لهب, وذكر آكل الربا, وذكر الذي نام عن الصلاة المكتوبة ويترك القرآن, فقد يُعذب الإنسان بسبب معاصيه, المعاصي ليست بالهينة.

والناظم رَحِمَهُ اللهُ يقول: احذر, فكن على عقيدة أهل السنة والجماعة, يعني متوسط, لا تأخذ رأي الخوارج فتكفر المسلمين بالمعاصي, لأن الله عَزَّ وَجَلَّ يغف ويرحم وهو رحيم سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وأيضًا لا تعتقد رأي المرجئة فتظن أنك إذا قلت "لا إله إلا الله" فأنت قد أصبحت في أعلى منازل الإيمان, لأن الإيمان ينقص بالمعصية، ينقص حتى يضعف كثيرًا.

قول الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

وقـلْ إنَّـما الإيـمَانُ قَـولٌ ونِيَّـةٌ ... وفِعْـلٌ عـلى قـولِ النَّبـيِّ مصرَّح

ويـنْقُصُ طَـورًا بالمعـاصي وتَـارةً ... بطاعَتِـه يَنْمِيـوفي الـوزنِ يَـرْجَحُ



يقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ: وقل: يعني أيها السني.

وقل إنَّما. "إنما" أداة حصر تدل على حصر الحكم في المذكور ونفيه عما سواه.

وقلْ إنَّما الإِيمَانُ.

"الإيمان" لغة هو التصديق. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[يوسف: ١٧]؛ يعني ما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين.

وأما في الشرع فهو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

قال: قَولٌ ونِيَّةٌ. أي: أن الإيمان في الشرع قول ونية, قول يشمل قول القلب وقول اللسان, وقول القلب هو اعتقاده, فلو كان القلب ناطق وسُئل ما تعتقد؟ لتكلم بكذا، وهذا يسمى قول القلب.

قول أيضًا قول اللسان, قول اللسان هو النطق بالشهادتين.

قال: ونِيَّةٌ، والنية نية القلب.

قال:وفِعْلٌ، والفعل فعل الجوارح, فالصلاة إيمان، والزكاة إيمان، وهذه أفعال, فأعمال الجوارح إيمان.

وعلى هذا ذكر الناظم رَحِمَهُ اللهُ أن الإيمان قول ونية وفعل, وهذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول ونية وفعل.

وإن شئت أن تقول: هو قول وعمل, فالقول يشمل قول القلب واللسان، والعمل يشمل عمل القلب والجوارح, وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع على أن الإيمان قول وعمل ونية.

قال:على قولِ النَّبيِّ مصرَّح. أي: أنه جاء في حديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُصرح، مُصرح فيه أن الإيمان بهذا التعريف.

كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، هذا القول. «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»، وهذا عمل القلب. «وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنْ الطَّرِيقِ»، وهذا فعل.

ولذلك جاء مُصرح في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالإيمان عرَّفه المؤلف عند أهل السنة بهذا التعريف.

والناس في الإيمان انقسموا على أقسام:

فذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح, يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. كما سيأتي في تعريف المؤلف رَحِمَهُ اللهُ.

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع, فدل على أن العمل من الإيمان، وعلى أن القول من الإيمان، وعلى أن النية من الإيمان.

والأدلة على ذلك كثيرة.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾[البقرة: ١٣٦], فقول، لابد أن يقول الإنسان بلسانه.

وقال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[النساء: ١٣٦], فالإيمان يشمل اعتقاد القلب، فأمر الله عَزَّ وَجَلَّ بأن يعتقد الإنسان بقلبه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[فصلت: ٣٠].

وغير ذلك من الأدلة من القرآن.

وقد دلت السنة أيضًا على أن الإيمان قول وعمل ونية.

فالقول دل عليه ما جاء في الصحيحين في وفد عبد القيس أنهم لما جاءوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، الْإِيمَانِ بِاللهِ، هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».فدل على أن قول "لا إله إلا الله" من الإيمان.

وأيضًا عمل، قال: «وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَتُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ». وهذه أعمال, مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سماها إيمان, فدل على أن الإيمان يشملها.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ»، والحياء عمل قلبي؛فدل على أن عمل القلب من الإيمان, والأعمال من الإيمان.

وعلى هذا الإيمان يشمل ثلاثة أمور: إيمان القلب, وقول اللسان, وعمل الجوارح, فلا يمكن أن ينفصل الإيمان عن هذه الثلاث.

وقد سمى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الصلاة إيمان؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾[البقرة: ١٤٣]؛ يعني صلاتكم.

وذلك أن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أتوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: يا رسول الله، إخواننا الذين كانوا يصلون في بيت المقدس ماذا عنهم؟ فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾؛ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[البقرة: ١٤٣]. فسمى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى الصلاة إيمان.

فهذا هو تعريفه عند أهل السنة والجماعة وهو الصحيح؛ ولذلك أجمع العلماء على هذا الشيء.

فنقل الشافعي رَحِمَهُ اللهُ إجماع العلماء على هذا الشيء أن العلماء أجمعوا على أن الإيمان قول وعمل.

يقول البخاري رَحِمَهُ اللهُ: لقيت ألف عالم من علماء المسلمين يقولون إن الإيمان قول وعمل.

وغير ذلك من الأدلة, فدل على أن الإيمان قول وعمل.

قال: قولٌ: يعني قول اللسان,فـ "لا إله إلا الله" إيمان, ولا يدخل الإنسان الدين حتى يقول "لا إله إلا الله"، وهي إيمان.

ونِيَّةٌ، اعتقاد القلب, فيعتقد أن الله واحد لا شريك له, وأن الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد, ويعتقد بربوبية الله، فهذا كله إيمان, ويعتقد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر, وهذا معنى ما في القلب.

وفِعْلٌ، أيضًا الفعل، فالصلاة إيمان، والزكاة إيمان، والحج إيمان, فهذه أعمال فهي داخلة في مسمى الإيمان, فلابد من هذه الأركان الثلاث: قول ونية وعمل.

والقول ينقسم إلى قسمين:

الأول: يتوقف عليه صحة الدين, وهو قول "لا إله إلا الله"، فلا يكون الإنسان مؤمن إلا بقول "لا إله إلا الله".

وعلى هذا إذا لم ينطق بهذه الكلمة فلا يدخل الإسلام, ولو أن كافر من الكفار آمن بقلبه دون أن ينطق بـ "لا إله إلا الله" ما كفاه.

كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ».

الثاني: ما هو سبب في زيادة الإيمان, كالذكر والتسبيح والتهليل وغير ذلك, وهذا لو تركها الإنسان نقص إيمانه.

فالإنسان مثلًا إذا غفل عن ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ فإن إيمانه يضعف, وإذا أكثر من ذكر الله فإن إيمانه يزيد, فمن سبح مائة زاد إيمانه أكثر، كما سيأتي إن شاء الله أن الإيمان يزيد وينقص.

قال: ونِيَّةٌ, أيضًا النية منها أصل، لا يكون الإنسان مؤمن إلا به, كأن يعتقد أن الله موجود، ويعتقد أن الله واحد لا شريك له، ولا معبود بحق إلا هو, فلو لم يعتقد هذا ما صح إيمانه.

فلو أن إنسانا من الناس مثلًا قال: "لا إله إلا الله" ولكنه اعتقد أن غير الله يُعبد بحق، فهذا لا يكون مؤمن, لابد أن يعتقد بقلبه أنه لا معبود بحق إلا الله.

والثاني: ما هو سبب في زيادة الإيمان,كالخشية والخوف، يعني كمال الخشية وكمال المحبة وكمال الرجاء وأعمال الخير التي تكون في القلب، أن ينوي فعل الصالحات، هذا سبب في زيادة الإيمان.

قال:وفِعْلٌ، أيضًا الفعل منه ما يتوقف عليه صحة الإيمان,ومنه ما هو سبب في زيادة الإيمان, فما يتوقف عليه صحة الإيمان هو أصل العمل.

فلو أن إنسانًا من الناس قال: "لا إله إلا الله" واعتقد بقلبه ولكن لم يعمل خيرًا قط, ما عمل لا صلاة ولا صوم ولا حج ولا زكاة ولا أي عمل من أعمال الإسلام, فهذا لم يأت بأصل الركن، هذا ليس بمسلم, لأنه فَقَدَ ركن من أركان الإيمان.

وعلى هذا من قال "لا إله إلا الله" واعتقد أنه لا معبود بحق إلا الله، وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ....إلخ, ولكنه لم يعمل خيرًا قط، لا صلاة ولا زكاة ولا حج ولا أي عمل من أعمال الإسلام, فهذا ليس بمؤمن.

الثاني: ما هو سبب في زيادة الإيمان, وهو الزيادة في العمل, كقيام الليل والصدقة وحج النافلة وغير ذلك، فهذا يكون سبب في زيادة الإيمان, ولو تركه الإنسان ما يخرج من الدين, بل يبقى مؤمن, وهذا هو الإيمان عند أهل السنة والجماعة, وهو الحق الذي دلت عليه النصوص, دلت النصوص على أن الإيمان بهذه المثابة.

الإيمان عند مرجئة الفقهاء، مرجئة الفقهاء الذين قالوا: إن الإيمان قول ونية، وأما الأعمال فهي شرط للإيمان وليست من الإيمان, فقالوا إن الأعمال شرط وليس داخل في مسمى الإيمان. وهذا خطأ.

الثالث: من قالوا: أن الإيمان اعتقاد القلب فقط, فلو أن إنسانا من الناس اعتقد بقلبه ولم ينطق بلسانه ولم يعمل بجوارحه فهو مؤمن,وهذا باطل, لأنه لابد من القول, لأن هذا يستلزم أن أبا طالب عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مسلم, لأنه كان يعتقد بقلبه.

قال:

ولقــد علمــت بــأن ديــن محمــدٍ   مــن خــير أديــان البريــة دينًــا
لــولا الملامــة أو حــذار مســبة   لوجــدتني بــذلك ســمحًا مبينًــا

فقال: إن ابني هذا ليس مُكذِّب, فكان يعتقد بقلبه ولكنه لم ينطق بلسانه ولم يعمل بجوارحه.

ولذلك يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنه في النار، وأنه في ضحضاح من النار يغلي منه دماغه.

الرابع: من قالوا: أن الإيمان مجرد النطق, فإذا نطق بلسانه ولو لم يؤمن بقلبه ولم يعمل فهو مؤمن, وهذا باطل,لأن هذا القول يجعل المنافق مؤمن, فعندهم أن المنافق الذي لا يعتقد مؤمن, فالمنافق يقول "لا إله إلا الله" ولكنه يكفر بقلبه, فعندهم أنه مؤمن.

الخامس: غلاة الجهمية الذي كان عليه الجهم, وهو مجرد المعرفة, فإذا عرف الإنسان ربه بقلبه فهو مؤمن, مجرد المعرفة، لا يعتقد ولا ينطق بلسانه ولا يعمل بجوارحه، مجرد أن يعرف معرفة.

وهذا القول يجعل إبليس مؤمن, لأن إبليس كان يعرف الله عَزَّ وَجَلَّ لكنه كان لا يعمل لا بقلبه ولا بلسانه ولا بجوارحه, مجرد معرفة.

وأيضًا فرعون كان يعرف الله عَزَّ وَجَلَّ؛ كما قال موسى له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الإسراء: ١٠٢]. فذكر موسى أن فرعون يعرف أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي أنزل هذا الشيء, ولكنه استكبر وتكبر ولم يعمل ولم يعتقد بقلبه ولم ينطق بلسانه.

هذا قول باطل، فالحق ما عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح؛ ولذلك صرح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الشيء, كما تقدم في الأدلة.

قال:

وينْقُصُ طَورًا بالمعاصي وتَارةً بطاعَتِه يَنْمِيو في الوزنِ يَرْجَحُ



قال: وينْقُصُ طَورًا: يعني تارة, فالإيمان ينقص أحيانًا ويزيد أحيانًا.

ولذلك قال: وينْقُصُ طَورًا بالمعاصي. أي: أن المعاصي سبب في نقص الإيمان, فإذا عصى الإنسان نقص إيمانه.

وتَارةً ...بطاعَتِه: يعني بطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ, يَنْمِي: يعني يزيد، النماء هو الزيادة، ومنه نمى الزرع يعني زاد.

وفيالوزنِ: يعني في الثقل,يَرْجَحُ: يعني يرجح في الميزان, فيزيد الإيمان حتى يكون مثل الجبال.

فذكر الناظم رَحِمَهُ اللهُ أن الإيمان يزيد وينقص، وهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص, وقد دلت الأدلة الكثيرة على هذا الشيء, دلت على أن الإيمان يزيد وينقص.

فدل القرآن والسنة وأقوال السلف,والحقيقة أو الأثر الذي يراه الإنسان في نفسه أن الإيمان يزيد وينقص.

فأما الأدلة من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ فكثيرة:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، هذه الزيادة: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال: ٢].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[الفتح: ٤].

وقال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[محمد: ١٧].

وغير ذلك من الآيات.

وجاء في صحيح مسلم من حديث حنظلة أنه شعر في قلبه بشيء، فأتى إلى أبي بكر يبكي. فقال: نافق حنظلة. فقال: وما ذاك؟ قال: إنا نكون عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيُحدثنا بالجنة والنار كأن رأي عين، فإذا عاشرنا النساء والأبناء والضيعات نسينا. فقال أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إني لأجد مثل ما تجد. فأتوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً»؛ يعني ساعة أن الإنسان يصل إلى درجات عالية من الإيمان, وساعة يعني ساعة قد يتغير الإنسان من ناحية إيمانه وانشغاله بالدنيا.

ولذلك قال:«لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ إِذَا فَارَقْتُمُونِي كَمَا تَكُونُونَ عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ», لأنه أصبح الإنسان كأنه يرى الآخرة رأي العين بسبب زيادة الإيمان, فالإيمان يزيد وينقص.

وجاء عن بعض السلف أنه قال: لنؤمن ساعة. قالوا كيف؟ قال: نذكر الله فيزيد إيماننا.

كانوا يقولون إذا ذكرنا الله زاد إيماننا, فالإيمان يزيد.

وعلى هذا الإنسان إذا عمل الصالحات فإنه يزيد إيمانه.

فمثلًا من صلى زاد إيمانه, ومن ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ زاد إيمانه، ومن خشي الله في قلبه زاد إيمانه, فيزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما سيأتي إن شاء الله, فإذا سبح مائة زاد إيمانه، وإذا سبح ألف زاد إيمانه, وإذا صلى عشرين ركعة زاد إيمانه.

وأسباب زيادة الإيمان كثيرة, منها الطاعة, فمن صلى وأكثر من الصلاة فإن إيمانه يزيد.

فلو دخل رجلان المسجد مثلًا وصلى أحدهم عشر ركعات وصلى الآخر ركعتين، فإن الذي صلى عشر يزيد إيمانه أكثر في هذه الحالة.

ولو أن رجلين جلسا في مجلس, فبدأ رجل منهم يأخذ في الدنيا ويحكي في الدنيا، والآخر يُسبح حتى وصل إلى عشرة آلاف تسبيحة, فالذي سبح عشرة آلاف تسبيحة زاد إيمانه أكثر من الرجل الآخر, في هذه الحالة، في هذا الموضع.

وعلى هذا إذا أكثر من الطاعة فإنه سبب في زيادة الإيمان, فيحرص الإنسان على أن يُكثر من الطاعة لأنها سبب في أن يزيد إيمانه.

ومن أسباب زيادة الإيمان: أن يتفكر الإنسان في آيات الله الكونية والشرعية, فآيات الله الكونية في السماء وفي الأرض وفي النجوم وفي تغير الأحوال, وغير ذلك مما خلقه الله عَزَّ وَجَلَّ في هذا الأرض, فإذا مر بالجبال يتفكر في هذه الجبال الراسخة التي منذ خلق الله السماوات والأرض وهي ثابتة كيف أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى خلقها على هذا الخلق, وينظر

إلى السماء فوقه كيف أن الله عَزَّ وَجَلَّ رفعها بغير عمد, وينظر إلى البحار والأمواج، وينظر إلى هذا الكون الذي يجري على أحسن ترتيب, فإن هذا من أسباب زيادة الإيمان.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

فلما شعروا بهذا الشيء قالوا هذه المقالة، قالوا سبحانك ما خلقت هذا باطلا, فإذا تفكر الإنسان في هذا الشيء فإنه سبب في زيادة الإيمان.

ولذلك إذا غفل الإنسان فإن إيمانه لا يزيد، فعليه أن يتفكر في مثل هذا.

أيضًا يتفكر في آيات الله الشرعية في القرآن والسنة، كيف أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى حفظ هذا الدين, فحفظ القرآن من مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هذا لم يزد فيه حرف ولم يُنقص منه حرف, حفظه الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, وأن هذا الدين قائم وهذا الشرع مستمر؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أخبرنا أنه سيظهر هذا الدين, كيف أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بعثه الله عَزَّ وَجَلَّ يُذكَر اسمه في المآذن في أنحاء الأرض: "أشهد أن محمدًا رسول الله". كيف أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى رفع ذِكره, فيتفكر في شرع الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فإن هذا من سبب من أسباب زيادة الإيمان.

أيضًا من أسباب زيادة الإيمان: ترك المعاصي, فإذا ترك الإنسان المعصية؛ فإنه يزيد إيمانه, فلو عرض للإنسان معصية ثم تركها لله؛ فإن إيمانه يزيد.

فلو أن إنسان مثلًا مرت أمامه امرأة ثم غض بصره لله عَزَّ وَجَلَّ خوفًا من الله؛ فإن إيمانه يزيد, وهذا فائدة عظيمة, فلا يظن الإنسان أنه إذا ترك المعصية أنه لا يستفيد, بل إنه يستفيد ويزيد إيمانه ويعظُم حتى يصبح كالجبال.

ولذلك قال السلف: "إن الصحابة كانوا يضحكون ويتبسمون والإيمان في قلوبهم مثل الجبال".

وقال الحسن البصري أو غيره من العلماء:"إن أبا بكر لم يسبقهم بكثرة صلاة ولا صيام, وإنما سبقهم بشيء وقر في قلبه", يعني الإيمان.

وقد جاء في الأثر: "أن إيمان أبي بكر لو وُزن بإيمان الأمة لرجح بها".

فالإنسان إذا زاد الإيمان في قلبه؛ فإنه يعظُم شأنه, وهذا له أسباب, فيأخذ الإنسان بأسباب زيادة الإيمان حتى يزيد في قلبه.

وأيضًا ينقُص؛ ولذلك قال:وينْقُصُ طَورًا: يعني تارة,بالمعاصي. أي: أن المعاصي سبب في نقص الإيمان.

وعلى هذا إذا وقع الإنسان في معصية فإن إيمانه ينقُص, إذا شرب الرجل الخمر فإن إيمانه ينقص, إذا زنى فإن إيمانه ينقص, وبحسب المعصية والاستخفاف بها والإكثار منها نقص الإيمان, فإذا كثرت المعاصي أو عظُمت المعصية أو استخف الإنسان بها فإنه يضعف الإيمان عنده, فيضعف بسبب المعاصي.

وضعف الإيمان له سببان:

السبب الأول:لا يُلام عليه الإنسان,كمن ترك المستحب, إذا ترك الإنسان مثلًا قيام الليل أو ترك حزبه من القرآن في يومه، أو ترك الذكر أذكار الصباح والمساء، أو ترك بعض الطاعات؛ فإن إيمانه يضعف, ولكنه لا يُلام عليه ملامة العاصي, وإن كان قد يُلام ولكن هذه الملامة خفيفة, يعني ما ينبغي للإنسان أن يترك الطاعة التي اعتادها لئلا ينقص إيمانه.

ولذلك جاء في الحديث الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ».

فالإنسان إذا اعتاد الطاعة ثم تركها وضعف إيمانه فإنه يُلام ملامة خفيفة, لا كما يُلام العاصي.

الثاني مما لا يلام عليه الإنسان: إذا ضعف بسبب ترك الطاعة المعذور فيها, كالمرأة.

المرأة إذا تركت الصلاة وتركت الصيام فإن إيمانها يضعف, ولكن هذا الضعف ليست مُلامة عليه.

كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ».

نقص الدين هو أن ينقُص أيام الحيض؛ كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ: «أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا».

فالمرأة إذا تركت الصلاة أيام الحيض وتركت الصوم فإن إيمانها ينقص, ولكنها لا تُلام عليه معذورة.

القسم الثاني: ما يلام عليه الإنسان إذا فعله, وهي المعاصي, إذا فعل المعاصي أو ترك الطاعات ونقص الإيمان عنده فإنه يُلام عليه.

والذي يُلام عليه الإنسان له حالات:

الحالة الأولى: أن يكون معصية فإذا فعل الإنسان معصية فإن إيمانه ينقص, فإذا زنى مثلًا فإن إيمانه ينقص.

كما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن الرجل إذا زنى فإن الإيمان يخرج من قلبه ويكون فوق رأسه كالظُلة, فإذا نزعه إذا شاء الله عَزَّ وَجَلَّ ردَّه إليه, فيخشى الإنسان ألا يعود إليه الإيمان.

ولذلك إذا عصى الإنسان فإن الإيمان يضعف,وإذا شرب الخمر فإن الإيمان ينقص, وإذا سرق فإن الإيمان ينقص.

ولذلك من الناس من يُسرف على نفسه حتى يضعف الإيمان عنده يكون ضعيف؛ كما جاء في الحديث:«اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان». فدل على أن الإيمان قد يضعف حتى يصبح ضعيف.

وقد قال بعض السلف:"فليخشى الذي يعصي أن يذهب الإيمان من قلبه بسبب المعاصي".

ولذلك يقول العلماء: ان المعاصي بريد الكفر؛ وذلك أن الإنسان يعصي ويُسرف على نفسه ويُكثر من المعاصي حتى يذهب الإيمان من قلبه, وقد يقع في كفر, إما أن يستهزئ

بالدين أو يكفر بالدين أو يُشرك بالله أو يقع في كفر بسبب المعاصي؛ لأنه ضعُف الإيمان حتى أصبح ضعيفًا, والإيمان قد يضعف, فهو يزيد وينقص.

وأيضًا مما يُلام عليه الإنسان: ترك الطاعة, وقد يكون ترك الطاعة سبب في ذهاب الإيمان بالكلية, كمن ترك الصلاة بالكلية بحيث ما يصلي, فمن ترك الصلاة لا يصلي بالكلية فإنه يخرج من الإيمان.

كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ».

وقد يكون سبب في ضعف الإيمان, كمن ترك بعض الصلوات أو ترك الزكاة الواجبة أو ترك الحج الواجب؛ فإن هذا إيمانه يضعف ويُلام عليه.

فالطاعة -كما تقدم- سبب في زيادة الإيمان, وترك الطاعة سبب في نقصه, قد يضعف الإيمان عند الإنسان بسبب ترك الطاعة.

ومن أسباب نقص الإيمان: أن يغفل الإنسان عما خلق له, يغفل بحيث يكون شغله الشاغل الدنيا ولا ينظر إلى الآخرة, فيكون حاله كحال الذين قال الله عَزَّ وَجَلَّ فيهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[الروم: ٧], فيكون همه الدنيا ولا ينظر إلا إلى الدنيا, فهذا يضعف إيمانه, ويغفل عن خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعن آيات الله وعن ما يُحدثه الله عَزَّ وَجَلَّ في هذا الكون, فلا يتفكر ولا يكون له قلب واعي, كحال المنافقين, المنافقون لا يتفكرون.

ولذلك قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾[التوبة: ١٢٦], ومع ذلك لا يتذكرون ولا يتنبهون, يقع عليهم الفتن والمصائب ومع ذلك لا يشعرون بشيء, فالغفلة من أسباب ضعف الإيمان.

وأهل السنة عندهم أن الإيمان يزيد وينقص, وقد دلت الأدلة -كما تقدم- على أنه يزيد, وأما نقصان الإيمان فقد دلت الأدلة أيضًا على أنه ينقص.

وللفائدة: أن كل دليل يدل على زيادة الإيمان فهو يدل على نقصه, لأن الشيء إذا كان يزيد فهو قابل للنقص.

فالآن لو كان الإنسان عنده كوب فارغ من الماء فملأه من الماء, فهو يزيد, أليس قابل للنقص؟ أليس قبل ذلك كان ناقص؟

فالجواب: بلى.

والزرع الذي ينمو في حظيرة الإنسان أليس كان قبل ذلك أقل؟

فالجواب: بلى.

فالشيء إذا كان قابل للزيادة فهو قابل للنقص.

وأيضًا دلت الأدلة الكثيرة على أن الإيمان ينقص:

كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لم يستطع فبلسانه ومن لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ».

وجاء في رواية:«وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ». فدل على أنه إذا لم يُنكره ضعُف الإيمان عنده.

وجاء في الصحيح أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول:«أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»؛ يعني عنده الإيمان ضعيف فدل على أنه نَاقَص.

وجاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال:"إن من فقه العبد أن ينظر إلى إيمانه وما نقص منه".

وجاء عن السلف أنهم كانوا يعرفون نقص الإيمان, قالوا: إذا غفلنا فذلك نقص الإيمان. فالإيمان يزيد وينقص.

والإنسان – في هذه الحياة يشعر من نفسه أنه يزيد الإيمان في قلبه وينقص, فأحيانا الإنسان يشعر بالإيمان كأنه يرى الآخرة رأي العين, إذا تأثر بالمواعظ أو صلى أكثر من الصلاة أو حج أو اعتمر وكان في قلبه خشوع وذل لله كأنه في الآخرة, كأنه في الآخرة رأي

العين, وإذا غفل وذهب في هذه الحياة يشعر بضعف الإيمان,فالإنسان يشعر بنفسه, مع أن الأدلة الدالة عليه يشعر الإنسان في قلبه به.

ولذلك قال:وينْقُصُ طَورًا بالمعاصي وتَارةً ...بطاعَتِه: يعني بطاعة الله,يَنْمِي: يعني يزيد,وفي الوزنِ يَرْجَحُ.

والناس - في الإيمان ليسوا على حد سواء, فإيمان أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ليس كإيمان أحاد الناس منَّا, وإيمان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبله ليس كإيمان أُمته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولذلك جاء في الأثر: أن ملكين وزنوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعشرة من أمته ثم بمائة ثم بألف, ثم قال الملك للآخر اتركه والله لو وزنته بأمته كلهم لرجح بهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فالناس ليسوا في الإيمان كحالة واحدة, بل من الناس من الإيمان في قلبه كالجبال الراسية, ومن الناس من الإيمان في قلبه كقطعة الحديد الصغيرة, ومن الناس من بين ذلك.

ولذلك ما يتجرأ الإنسان على المعاصي والإيمان في قلبه عظيم, كما جاء في صحيح مسلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»؛ يعني كامل الإيمان,«وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ». فدل على أنه إذا كان الإيمان في قلبه عظيم فإنه لا يتجرأ على المعصية.

ولذلك يدل على هذا أيضًا قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لما راودته المرأة؛ قال:﴿ مَعَاذَ اللَّهِ﴾, كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الإيمان في قلبه مثل الجبال, فحال بينه وبين المعصية؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾, فالبرهان -والله أعلم- أنه الإيمان الذي كان في قلبه حال بينه وبين المعصية.

ولذلك الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فسألوا الله عَزَّ وَجَلَّ بأعمالهم, كان أحدهم راود ابنة عمه وكان يحبها, فلما ألمَّت بها سنة من السنين أتته وكانت امرأة نزيهة

فمكنته للحاجة, فلما قرُب منها قالت لا تفض الخاتم إلا بحقه, فتركها بسبب الإيمان في قلبه.

فالإنسان إذا كان الإيمان في قلبه عظيم فإنه حري به أن لا يعصي الله عَزَّ وَجَلَّ.

والناس في زيادة الإيمان أقسام, والمرجئة عندهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص, كما قال أحدهم:

والنـــاس في الإيـــمان شيء واحـــد كالمشـــط عنـــد تماثـــل الأســـنان

فهم عندهم أن الإيمان واحد ليس فيه تفاضل, فإيمان جبريل كإيمان العاصي من الناس, ولكن التفاضل عندهم في الأعمال, الإيمان واحد. وهذا غير صحيح, بل هو باطل.

ولذلك المرجئة يرون أن من سجد للصنم لا يكفُر حتى يعتقد بقلبه ويستحل, يعني أوصلتهم هذه المقالة إلى أن يقولوا أن أعمال الكفر ليست بكفر.

فلو أن إنسانًا عندهم مثلًا سجد لصنم يقولون لا نُكفره حتى يستحل بقلبه ويعتقد جواز السجود للصنم أو أنه يستحل بقلبه أنه جائز, تهوين من معالم الشريعة, فيُهونون الأوامر.

فلو رأيت إنسان سب الله عَزَّ وَجَلَّ أمامك يقول لا تُكفِّره لأنه قد يكون غير مستحل.

ولو أن إنسانا سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لا تُكفره, وعند أهل السنة يَكفُر, لأن العمل من الإيمان عندهم, لأن الإيمان له نواقض.

منها: القول, فمن سب الله عَزَّ وَجَلَّ أو سب نبيه أو استهزأ بالدين فإنه يَكفر ويخرج من دين الإسلام.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة: ٦٥-٦٦], فالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أخبرنا أنهم كفروا بعد إيمانهم.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتلو الآية على الرجل الذي جاءه يقول يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب, يعني نمزح ونتكلم كلام الطريق, وكان يتلو عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ الآية.

وأيضًا من سجد لصنم أو دعا ميت فإنه يَكفُر,لأنه وقع في الشرك؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾[الزمر: ٣].

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

ودعْ عَنْـكَ آراءَ الرِّجَـالِ وقـولَهُمْ فَقَـولُ رَسُـولِ اللهِ أَزْكَـى وأَشْرَحُ



يقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ:ودعْ: يعني اترك,عَنْكَ آراءَ. الرأي: هو المجرد عن الدليل, يعني يرى بدون دليل,آراءَ الرِّجَالِ: يعني الذين ابتكروها من أفكارهم من غير استناد لدليل.

وقولَهُمْ: يعني أقوالهم التي قالوها, كقول الجهم وقول غيره من أهل البدع, وغيرهم من مما ليس عليها دليل.

فَقَولُ رَسُولِ اللهِ.

فَقَولُ: يعني القول الذي جاء به,رَسُولِ اللهِ: يعني المرسل من الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى,أَزْكَى:يعني أطهر,وأَشْرَحُ: يعني أشرح للقلب وطمأنينة للقلب لأنه حق, لأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ لا ينطق عن الهوى.

فيقول الناظم رحمه الله: احذر من قول الرجال المبنية على غير دليل.

وذلك أن الإنسان لابد أن يعمل بدليل, فإذا كان الإنسان يتكلم في دين الله بلا دليل فإن هذا لا يُقبل قوله, إذا كان مجرد أفكار افتكرها أو جاء بها من تلقاء نفسه فإنه لا يُقبل.

ولذلك يقول:ودعْ عَنْكَ آراءَ الرِّجَالِ وقولَهُمْ.

ولذلك الرأي المجرد عن الدليل مذموم.

ولذلك جاء في سنن أبي داود عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: "لَوْكَانَالدِّينُبِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ,وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ". حديث حسن, حسنه ابن حجر في البلوغ.

فآراء الرجال إذا كانت من غير دليل فلا يقبلها الإنسان؛ وذلك أن الرأي إذا كان مجرد عن الدليل فهو مذموم, كقول الجهم, ولذلك الجهم بنى عقيدته على الرأي المجرد من غير دليل.

كما ناظر السُّمانية فرقة كانوا لا يؤمنون إلا بالمحسوس, أي شيء محسوس يؤمنون به, غير محسوس ما يؤمنون به,الغيب ما يؤمنون به, فقالوا: ربك هذا الذي تعبد أيُلمس؟ أيُشم؟ أيُحس؟ قال: لا. قالوا: إذًا تعبد العدم, فدخل بيته وكان عنده جهل, فبدأ يتفكر وأخذ أربعين يوم لم يصلي, ثم طرأ له في عقله رأي أو جاءه إبليس قال له الهواء هل يشم؟- قال في نفسه: لا. هل يحس؟ قال: لا. قال: إذًا الله عَزَّ وَجَلَّ في كل مكان كالهواء.

فخرج عليهم فقال لهم: إن الله في كل مكان, فسكتوا فظن أنه انتصر عليه, ثم راجت هذه المقالة الباطلة.

ولو كان عاد إلى الشرع لقال إن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى لا يُرى في الدنيا؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾[الأعراف: ١٤٣], وإن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى فوق عرشه؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: ٥].

وعاد إلى السنة, قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّىٰ تَمُوتُوا».

لو عاد إلى الكتاب والسنة لنجا, ولكنه عاد للرأي.

ولذلك يحذر الإنسان من آراء الرجال.

ولذلك فكر الخوارج مبني على الرأي, فهم خرجوا على علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بآرائهم فقالوا أنه حكَّم الرجال في شرع الله.

ولذلك لما جاءهم ابن عباس قال: الدماء أحق أم المرأة أم قتل الحمامة؟ -قتل حمامة في الحرم- قالوا: بل دماء الرجال أعظم. قال: أليس الله عَزَّ وَجَلَّ يقول أنه إذا قتل رجل في الحرم غير حمامة -مثلًا- قتل عصفور أو نحو ذلك. قال:"أنه يحكم فيه رجلان؟". قالوا: نعم. فرجع بعضهم, الله عَزَّ وَجَلَّ أمر بالرجوع إلى قول رجلين إذا كان قتل الإنسان مثلًا عصفور في الحرم, ترجع إلى عدلين من الرجال, فكيف بمن أراد أن يقتل مسلم؟

الله عَزَّ وَجَلَّ أمر بأن يرجع الإنسان إلى الشرع ولا يأخذ برأيه المجرد.

فالمراد أن المؤلف يقول: احذر من آراء الرجال, فإذا كان الإنسان يقول لك قول فإن كان على دليل فهو حق وإن كان مجرد رأي فلا تقبل به.

فالناظم رَحِمَهُ اللهُ نهاك عن ذلك, قال:ودعْ عَنْكَ آراءَ الرِّجَالِ وقولَهُمْ ...فَقَولُ رَسُولِ اللهِ أَزْكَى.أي: أن قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أزكى وأطهر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامِ, لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينطق عن الهوى؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم: ٣-٤].

قال:

ولا تَـكُ مِـنْ قَـومٍ تَلَهَّـوا بِـدِيْنِهِمْ فَـتَطْعَنَ في أهـلِ الحـديثِ وتقـدحُ



ولا تَكُ: يعني انتبه احذر أن تكون منهم,مِنْ قَومٍ: يعني من جماعة,تَلَهَّوا. اللهو:هو الإفاضة في الشيء, وقد يكون هذا الشيء باطل.

والمراد هنا:تَلَهَّوا بِدِيْنِهِمْ: يعني أنهم اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا, يلعبون في الدين ويلهون, ليس لهم همة إلا اللهو واللعب.

فَتَطْعَنَ في أهلِ الحديثِ وتقدحُ: يعني فتطعن في أهل الحديث, فتقع في أعراضهم, وتقول هم فيهم كذا وفيهم كذا وغير ذلك.

أهلِ الحديثِ: يعني الذين نُسبوا لحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, المراد أهل السنة.

وتقدحُ. القدح: هو الكلام, يعني يقدح بكلام فيه قدح, مثل: السب والشتم والتنقص.

فيقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ: لا تكن من هؤلاء القوم, يعني من هؤلاء الجماعة تلهوا, يعني تكون على لهو في هذا الدين, الإنسان عليه أن يكون حازم في دينه؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[مريم: ١٢]؛ يعني: بجد واجتهاد.

فالإنسان يكون مجتهد في دينه وساعي إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بجد واجتهاد, لا تلهوا بالدين وتجعل الدين لهوا ولعب وتكون كحال الذين قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾[المائدة: ٥٨].

فيُحذِّر الناظم رَحِمَهُ اللهُ من هذا الشيء.

قال:فَتَطْعَن في أهلِ الحديثِ: يعني تقدح في أهل الحديث, كفعل أهل البدع, يقولون عن أهل السنة حشوية, أو أن أنهم نوابت, فيقدح في أهل السنة, ويكون واقع في أعراض أئمة الإسلام أو أهل السنة والجماعة.

وهذا كما قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[المطففين: ٢٩-٣٠]؛يعني يغمز بعضهم لبعض يقول انظر لهؤلاء.

فالإنسان لا يقدح في أولياء الله عَزَّ وَجَلَّ, أهل الحديث الذين تمسكوا بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيكون طعان فيلمزهم بألقاب السوء.

فالمرجئة مثلًا يقولون عن أهل السنة شكاك, والخوارج يقولون عن أهل السنة مرجئة يُضعفون الإيمان, والقدرية يقولون أن أهل السنة جبرية في القدر, والجبرية يقولون أنهم قدرية,والجهمية يقولون أن أهل السنة مشبهة, والرافضة يقولون أن أهل السنة نواصب, كلها على أهل السنة, فيقعون في أعراضهم, لأن صاحب الباطل ليس له إلا لسانه, يقدح في أهل الحق,يعني يريد أن يسقط هذا الإنسان بلسانه.

فتجد أن أهل الأهواء يقدحون في أهل الأثر,وهذا في القديم والحديث, حتى الحديث الآن يقولون عن أهل السنة وهابية, والوقت الحالي الآن المرجئة يقولون عن أهل السنة أنهم خوارج, يقولون لأنهم يُكفرون المسلمين, كما قالوا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يُكفر المسلمين, مع أنه رَحِمَهُ اللهُ من نظر إلى سيرته رأى أنه من أبعد الناس عن التكفير.

ولذلك يقول: أني لا أكفر من كانوا يطوفون حول القبر الفلاني الفلاني, لأنه لم تبلغهم الحجة, أما من وقع في مُكفر وقامت عليه الحجة فإنه يُكفر وليس له إلا ذلك؛ إذ لو أنه لم يُكفر لم يوجد كفر في الدنيا, فإذا قيل أن الكفر لا يُكفر به الفاعل لا يكون كفر في الدنيا؛ لأنه يستلزم أن يكون هذا الفعل ليس بكفر.

وعلى هذا لا يكون في الدنيا كفر, فمن استهزأ بالله ليس بكافر, ومن ترك الصلاة بالكلية ليس بكافر, ومن أشرك بالله وحارب دين الله عَزَّ وَجَلَّ ليس بكافر–على قوله– وهذا المستلزم له.

ولذلك أهل السنة أهل عدل لا يكفرون من تلقاء أنفسهم, إذا قام الدليل على أن هذا كفر فهو كفر, لأن الكفر حق لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

كما قال ابن القيم:

الْكُفْــرُ حَــقُّ اللهِ ثــمَّ رَسُــولِهِ ... بِالشرــعِ يَثْبُــتُ لَابِقَــوْلِ فُــلَانِ
مَــنْ كَــانَ رَبُّ العَــالَمِينَ وَعَبْــدُهُ ... قَــدْ كَفَّــراهُ فَــذَاكَ ذُو الكُفْــرَانِ

فمن ثبت بالدليل القطعي الذي لا اشتباه فيه أنه وقع في كفر فهو كفر.

ولذلك تجد أن أهل الحديث أو أهل السنة يُلمَزون من هنا وهناك, والرافضة يقولون نواصب, لأنهملا يحبون الصحابة مثل أبو بكر وعمر, فيقولون أنتم نواصب, لأنه عندهم أنه لا ولاء إلا ببراء, يعني لا تكون محب لعلي حتى تتبرأ من أبي بكر وعمر.

والنواصب ينسبون أهل السنة أيضًا أنهم موالون لأهل البيت, يقولون أنتم تحبون علي,النواصب يُبغضون آل البيت.

ولذلك يقول الناظم: فاحذر أن تكون من هؤلاء, سِر إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى بين الإفراط والتفريط على سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه قال: عليك بسنة النبي فإنها أشرف وأطهر.

قال الناظم:

إذا ما اعْتَقَدتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هذِه ... فأنْــتَ عــلى خَــيْرٍ تَبِيــتُ وتُصْــبِحُ



ثم ختم الناظم منظومته بهذا البيت, قال:إذا ما اعْتَقَدتَ: يعني اعتقدت هذا الذي مر عليك في هذه المنظومة, اعتقدت بقلبك وربطت قلبك عليه,الدَّهْرَ: يعني كل حياتك.

يا صَاحِ: يعني يا صاحبي,هذِه ...فأنْتَ على خَيْرٍ: يعني فأنت قد أصبت على الخير.

تَبِيتُ: يعني تنام الليل,وتُصْبِحُ: يعني تصبح في النهار.

فإذا اعتقد الإنسان الحق فإنه على خير عظيم, ولو قُدح فيه ولو قيل عنه ما قيل فإنه لن يضره شيء؛ لأنه على كتاب وسنة, فمن كان على الكتاب والسنة فهو على الحق فلا يهمه من خالفه, ومن كان معتقد العقيدة الصحيحة التي تُرضي الله عَزَّ وَجَلَّ فلا يخشى الناس؛ لأن الناس لن ينفعوه ولن يضروه, وسيقف بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى فيحاسبه على أعماله؛ ولذلك الإنسان ينظر إلى ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيعمل به.

كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

واصدَعْ بِـمَاقَالَ الرَّسُولُ وَلَاتَخَفْ   مِــنْ قلَّــةِ الأَنْصَــارِ وَالأعْــوَانِ

فمراد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أن الإنسان يعتقد العقيدة الصحيحة.

فأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى.

وأن يرزقنا العقيدة الصحيحة التي ترضيه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى عنا.

وأن يبارك لنا في أعمالنا وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

وأن يرحم مؤلف هذا النظم وجميع أموات المسلمين وأحيائهم.

والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد.

